القديس في مملكة الجان

تأليف: ليسلى تشارترس
ترجمة: عبد المنعم حسن

١٠ قـروش
فى : ج.م.ع

القدليس فى مملكة الجان



سُور الأزبكية

عُمر زَينبْ يوسُف

القديس فى مملكة الجان

تأليف : ليسلى تشارتريس
ترجمة : عبد المنعم حسن

الفصل الأول

كان فريق الأهلي يمر فى عــرض صــاخب يجلب الدوار ، وأســند سيمون تمبلار عنقــه الى ظهــر مقعده ، ممسكا بعجلة القيادة ، مستمتعا برحلته الى بلاد الشمس .

وكان حتى اليوم السابق مقيما فى « جــروز فتيور » فى لندن ـــ ولم يكن على حق ـــ بعد انتصاره فى سباق انجلترا ، فى ان يرحل على هواه ، رافضا دعــوة دوق وستلاند التى أراد بها الاعتراف بالجميل ، فقام بشكر اللورد ، وشارك الليدى مرجريت ، والطيــار السابق « بان فويل » من سلاح الجو الملكى ،ولكنه ما لبث أن قال لمرجريت بعد مضي ثمان واربعين ساعة :

ـــ لا يحسن بالقــديس أن يقيم وقتا طويلا فى نفس المكان ، فان وجوده يجلب المشــاكل لمن حــوله . وصدقينى انه من الأفضل ان أستأنف طريقى ، الذى يهيب بى بالانتقال الدائم .

فقالت مرجريت ، ابنة دوق ويستلاند :

ـــ يا له من شيء مؤسف ..

وكان صوتها ينم عن الأسف الحقيقى ، فبالرغم من انها تحب خطيبها « يان » ، فانها كانت تحس بجاذبية نحو تمبلار ، لعلها مغناطيسيته ، وكانت تشعــر فى قرارة نفسها بسعادة لأن القديس يتولى حمايتها .

وهــز سيمون رأسه فلم يكن هنــاك شيء ملح يستدعى ســفره ، ولم تقع أى ارمل فى ورطة ، ولم تستنجد به أى يتيمة بائسة ، فقال يعلل سبب سفره :

ـــ سأقضى بضعة أيام فى الريفيرا قبل أن يشتد

الحر . ثم من يدرى ما سيحدث بعد ذلك ، فقـــد أصادف أحداثا غير عـــادية فى طــريقى .. وصـــدقينى اننى تعودت ذلك .

وهكذا غادر الأراضى البريطانية ، وبعد أن توقف قليلا فى باريس ، أطلق للسيارة السريعة التى استأجرها الفنان قاصدا شواطىء الميدى ،حيث كان له كثير من الاصدقاء الذين كان يحس مقــدما بفــرح لقائهم مرة أخرى ، فلم تكن تلك هى المرة الاولى التى يزور فيها « الكوت دازور » ، بل انه ما زال يتذكر بصفة خاصة تلك المغامرة غير العـــادية التى قادته من « البيرينيز » الى « كان » ليقطع الطريق على بعض النصابين الذين تآمروا على نهب الكازينو الجديد .. فقد عاش خلال تلك المغامرة ساعات مثيرة ، مهددا بالموت ، ولم ينج منه الا بأعجوبة ، بعد أن حقق العدالة :

وفى الطريق الى « ايكس ـــ آن ـــ بروفانس » ، ألقى القديس نظـــرة على النافورة ، ثم اتجـــه الى الطريق المؤدى الى سان ـــ رافائيل ، وكان ، وأطلق لسيارته آخر سرعتها .

وعندما اقترب من « برينيول » ، أقبلت ســـيارة مسرعة من اليمين ، دون انذار ، أو تهدئة فى السرعة، وداس سيمون على الفرامل بيأس ، ليقلل من عنف الاصطدام الذى كان محققا . ودوى صوت مزعج ، ومالت سيارته على جانبها ، ولكنه استطاع تجنب الهاوية بمعجزة . وتمكن من رؤية وجه السائق الذى كان بمفرده فى السيارة . وتملك الذعر الرجل المجهول، ففقد السيطرة على نفسه ، ودارت ســـيارته عدة مرات ، وقفز سيمون لانقاذ المجهـــول بعد أن أوقف

محرك سيارته .

وقصد الى السيارة التى انقلبت على ظهـــرها ، دون مبالاة بالرضـــوض التى أصـــابته من انقـــلاب سيارته ، وتناول حجرا وكسر نافذة السيارة ، وجذب سائقهامن السيارة، وكان على سيمون أن يبذل مجهودا آخر ليحمل المجهول بعيدا عن الســـيارة المحترقة . وكانت سيارات أخرى قد تكدست فى الطريق . وانحنت امرأة على سيمون وسألته : — ماذا حدث . ؟

فأجابها : — لقد حاد عن الطريق ، الى اليســـار ، وكنت أتقدمه ولكنه لم ينتبه .. ثم ..

وصاح أحد الحضور : — ماذا تزعم .. ؟

وحدج القديس الرجل الذى بـــدا كأنه يتهمه ، وكانت نظرته من الحـــدة الى درجة أن المعترض توقف عن الحديث ، وتابع سيمون :

— لقـــد داخلنى شـــعور بأن المســـكين لم يكـــن فى وعيه ، كأنه كان مريضـــا .. ويجب نقله الى المستشفى .

فصاح البعض : — لا تهزوه ، وســـأتوجه الى برينيول واخطر الشرطة لترسل بسيارة الاسعاف .

وازداد عدد الســـيارات التى توقفت على جانب الطريق ، وزاد عدد النظارة ، وساد تلك الجماعات صمت غريب ، فقد كان كل انسان يفكر فى انه قد يقع فى نفس المأزق ، وأن يحـــدث له ما حـــدث للمجهول الذى تمدد على غطاء فاقد الحركة ، وتأمل القديس الطبيعة الجميلة المحيطة به ، والتى خلقت للســـلم ، والهدوء الذى يدعو الى الاسترخاء ، ولكن المغـــامرة كانت تسلك طرقا غريبة لتصل اليه .

الحر . ثم من يدرى ما سيحدث بعد ذلك ، فقد أصادف أحداثا غير عادية فى طريقى .. وصدقينى اننى تعودت ذلك .

وهكذا غادر الأراضي البريطانية ، وبعد أن توقف قليلا فى باريس ، أطلق للسيارة السريعة التى استأجرها الفنان قاصدا شواطىء الميدى ،حيث كان له كثير من الاصدقاء الذين كان يحس مقدما بفرح لقائهم مرة أخرى ، فلم تكن تلك هى المرة الاولى التى يزور فيها « الكوت دازور » ، بل انه ما زال يتذكر بصفة خاصة تلك المغامرة غير العادية التى قادته من « البيرينيز » الى « كان » ليقطع الطريق على بعض النصابين الذين تآمروا على نهب الكازينو الجديد .. فقد عاش خلال تلك المغامرة ساعات مثيرة ، مهددا بالموت ، ولم ينج منه الا بأعجوبة ، بعد أن حقق العدالة :

وفى الطريق الى « ايكس — آن — بروفانس » ، القى القديس نظرة على النافورة ، ثم اتجه الى الطريق المؤدى الى سان — رافائيل ، وكان ، وأطلق لسيارته آخر سرعتها .

وعندما اقترب من « برينيول » ، اقبلت سيارة مسرعة من اليمين ، دون انذار ، أو تهدئة فى السرعة، وداس سيمون على الفرامل بيأس ، ليقلل من عنف الاصطدام الذى كان محققا . ودوى صوت مزعج ، ومالت سيارته على جانبها ، ولكنه استطاع تجنب الهاوية بمعجزة . وتمكن من رؤية وجه السائق الذى كان بمفرده فى السيارة . وتملك الذعر الرجل المجهول، ففقد السيطرة على نفسه ، ودارت سيارته عدة مرات ، وقفز سيمون لانقاذ المجهول بعد أن أوقف

محرك سيارته .

وقصد الى السيارة التى انقلبت على ظهــرها ، دون مبالاة بالرضــوض التى أصــابته من انقــلاب سيارته ، وتناول حجرا وكسر نافذة السيارة ، وجذب سائقهامن السيارة، وكان على سيمون أن يبذل مجهودا آخر ليحمل المجهول بعيدا عن الســيارة المحترقة . وكانت سيارات أخرى قد تكدست فى الطريق . وانحنت امراة على سيمون وسألته : ــ ماذا حدث . ؟

فأجابها : ــ لقد حاد عن الطريق ، الى اليســار ، وكنت اتقدمه ولكنه لم ينتبه .. ثم ..

وصاح أحد الحضور : ــ ماذا تزعم .. ؟

وحدج القديس الرجل الذى بــدا كأنه يتهمه ، وكانت نظرته من الحــدة الى درجة أن المعترض توقف عن الحديث ، وتابع سيمون :

ــ لقــد داخلنى شــعور بأن المســكين لم يكــن فى وعيه ، كأنه كان مريضــا .. ويجب نقله الى المستشفى .

فصاح البعض : ــ لا تهزوه ، وســأتوجه الى برينيول وأخطر الشرطة لترسل بسيارة الاسعاف .

وازداد عدد الســيارات التى توقفت على جانب الطريق ، وزاد عدد النظارة ، وساد تلك الجماعات صمت غريب ، فقد كان كل انسان يفكر فى أنه قد يقع فى نفس المأزق ، وأن يحــدث له ما حــدث للمجهول الذى تمدد على غطاء فاقد الحركة ، وتأمل القديس الطبيعة الجميلة المحيطة به ، والتى خلقت للســلم ، والهدوء الذى يدعو الى الاسترخاء ، ولكن المغــامرة كانت تسلك طرقا غريبة لتصل اليه .

فقد أحس سيمون منذ اللحظة التى اندفعت فيهــا السيارة المجهولة الى طريقه ، أن هناك سرا غامضا ، وأن المغامرة آتية لا ريب فيها ، وها هى اجراسهــا تدق .

وأقبلت ســيارة الاسعاف ، وقفز منهــا ممرضان يصحبهما شرطى ، وبينما انصرف الاخير الى ســؤال الحاضرين ، انحنى الممرضان ورفعــا الجــريح على نقالة ، وتمتم الاخير :

— ويندى .. ويندى ..

وانحنى القــديس يتفرس فى وجه الرجــل الذى اختلطت فيه الدماء بتراب الأرض ، واهتزت مقلتا الرجل قليلا ، فكشفتا عن نظرة بعيدة ، وتمتم المجهول :

— ويندى الصغيرة . اريد . اريد ..

وضحك ضحكة مكبوتة ، كأنها صادرة عن كابوس وقال :

— الجميلة فى الغابة النائمة .. آه !.. آه!.آه! .

وكان لهذه الكلمات مفعول السحر فى القــديس، ولكنه كتم شعوره ، وامسك الشرطى بذراعه وسأله:

— انت الذى كنت تقــود السيارة التى تسببت فى الحادث . ؟

— مهلا يا ملاك الطريق . صحيح انى كنت اقــود ســيارة ، ولكن الرجــل الجــريح هو المتسبب فى الحادث . والكل شهود على ذلك .

— ما اســمك .. ؟ وما هو عنــوانك .. ؟ ان لهجتك غريبة عن الديار . !

وتفرس القــديس فى وجه محــدثه ليرى انطباعه عندما يكشف عن شخصيته وقال :

ـ سيمون تمبلار .

وكان الشرطى قد أخرج مفكرة من جيبه ليقيد فيها الاسم ، ورفع رأسه ، وأزاح قبعته الى الخلف وقال :

ـ سيمون تمبلار .. أنت .. القديس !.

ـ أنا بنفسى ..

ـ هل معك ما يثبت ذلك .. ؟

ـ هاك جواز سفرى، فافحصه . واذا خالجك الشك فلا تتردد فى الاتصال بصديقى القديم المفتش « أرشميد كويرسى » ، فى ادارة الشرطة القضائية فى باريس ، وسيقدم لك الدليل على أنى سائح عادى يود زيادة معلوماته عن فرنسا ، والاستفادة من طقسها ، والتمتع بأكلاتها الشهية والاعجاب .. ببناتها الجميلات ..

ونطق بالكلمات الاخيرة وهو يتطلع الى سيدة شابة نزلت من سيارتها الصغيرة ، وهى ترتدى بنطلونا أسود اللون . وقد استجابت لنظرة سيمون ، وعبثا حاول رفيقها جذبها من ذراعها ، بسلطة الحيازة ، ولكنها انفلتت منه بعنف ، وقالت بصوت جهورى :

ـ معذرة يا صديقى ! ان القديس شخصية .. تبعث الرغبة فى أن تصبح المرأة قديسة أيضا !

وانبعث الضحك من الموجودين ، وضغط سيمون على مرفق الشرطى الواقف بجانبه ، وانحنى عليه متمتما :

ـ لماذا لا نذهب سويا الى « برينيول » ، حيث نتبادل الحديث ولن أرفض اذا دعوتنى الى تناول شراب

مرطب ، فالحر قاس ! هذا الى ان الجريح يتقلى فى سيارة الاسعاف .

ـــ « أوكى » ! « اوكى » بلغتكم . !

ودار الحديث فى مركز الشرطة فى جو مبهج ، فقد أسر سيمون الجميع بظرفه ، ابتداء من الرئيس ، فأخذ يمزح ، ويلقى بالاقاصيص المضحكة عن جدته العزيزة وعندما غادر المركز فى بداية الليل ، خلف وراءه أصدقاء معجبين . وحجز لنفسه غرفة فى أكبر فنادق المدينة ، وزار الميكانيكى الذى أكد له أن سيارته ستكون صالحة للسير فى اليوم التالى ، ثم اتجه الى المستشفى بخطى خفيفة .

وهناك علم أن الجريح يبدى مقاومة شديدة لمن يعنون بأمره ، فى حين أن جروح رأسه تحتاج الى عناية كبيرة ، ووقت طويل . وعلم من الطبيب ان الرجل انجليزى الجنسية ، كما دل على ذلك جواز سفره الذى وجد فى جيبه ، وان اسمه هو دافيد كليف ، وقد وصل من انجلترا منذ أيام قليلة .

وتعجب سيمون للمصادفة العجيبة : رجل انجليزى! يغادر انجلترا فى نفس الوقت مع القديس ! وأحس بأن هذه المصادفة ليست الا مغامرة جديدة تعترض طريقه .

ودفع الطبيب باب الغرفة التى يرقد فيها دافيد كليف ، تحت رعاية ممرضة تسهر عليه . وكان يلوح على وجهه ، بعد أن نظف من آثار الجروح ، انه تجاوز العشرين بقليل .. وسأل الطبيب الممرضة : ـــ هل هدأت ثائرته .. ؟

فأجابت : ـــ انه كثير الهيجان . ولا اجسر على اعطائه مهدئا ، وهو لا ينقطع عن الكلام ، كما لو

كان هناك من ينتظره ، او كما لو كان عليه أن يصل الى الجهة التى كان يقصدها بأى ثمن .

وانحنى سيمون على الطبيب يسأله :

ـ هل هناك فكرة عن الجهة التى كان يقصدها ؟

فقال الطبيب محتجا :

ـ وكيف تريد أن نسأله ..

ـ الم تعرفوا اكثر من جهة سفره ، والطريق الفرعى الذى سلكه .. ؟

ـ لا اكثر من ذلك ..

ثم ضحك الطبيب واردف بدافع الفضول :

ـ لعله قصد الالتجاء الى بعض الأشجار ليستريح فى ظلها ، ويستعيد نشاطه استعدادا للرحلة الطويلة.

وفى هذه اللحظة تمتم الجريح :

ـ القصر .. طبعا .. ولكننى لا أدرى اذا كان ذلك حقا ..

ثم لفظ مرة أخرى بتلك الكلمات الغريبة :

ـ ويندى .. سورسيلو ..

واشرق وجه الشاب بابتسامة ، وهز الطبيب منكبيه وجذب سيمون اليه قائلا :

ـ ها قد تحققت من مقصدك .. ؟

ـ ليس بعد . فاننى أجد أن السر مثير . وياحبذا لو حللت مكان المرضة .

ـ لا أمل فى ذلك ، وأنا لا أسمح لك . فلنترك هذا المسكين يستريح ! ولك أن تسأله ، عندما يعافى ، لماذا كان يصر على اللحاق بك .. ولعلك تعرفه ، فان ذلك يفسر الحاحك على كشف سره .. ؟

ولم يرتجف سيمون ، بل اقترب من مضجع

الجريح ، لكى يسمع كلماته المتقطعة بصورة أوضح :
ـ القصر ـ وينـدى نعم يا أبى .. سأطيعك ..
وتدخل الطبيب قائلا : لندعه يستريح .
وتصنع سيمون أنه لم يسمع النداء ، وأعار أذنيه لتمتمة الجريح ، ولكنه لم يفهم شيئا من عباراته المتقطعة ، فاستدار وتبع الطبيب الذى قال غاضبا :
ـ لو اطعناك لحملته على الكلام ، وهى طريقة غريبة للاجهاز على جريح .!

الفصل الثانى

غادر القديس الفندق صباح اليوم التالى ، وكانت السماء صافية ، والجو صحو جميل ، وقصد الى المستشفى .
وسأل طبيب الدورة :
ـ كيف حال الجريح .. ؟
ـ انه بخير بالنسبة لحالته . ولو أنه لم يسترد وعيه الا أننا نأمل فى انقاذه ، وقد يطول الوقت ، ولكنه سيشفى .
وقاد سيمون سيارته التى تم اصلاحها ، مع بقاء اثر للحادث فى مقدمتها ، وقصد الى مركز الشرطة حيث قابل أصدقاء الأمس ، وهو يتسلى بالتفكير فى الماضى القريب حيث لم يكن للشرطة هم الا وضع القيد الحديدى فى يديه .
واتجه تمبلار الى شاطىء البحر الابيض وهو يفكر فى كلمات « دافيد كليف » التى تكشف عن اللغز ، ولكنها تتضمن نداء ، وبخاصة تلك الكلمات التى فاه بها عقب وقوع الحادث مباشرة : « الحسناء فى الغابة

النائمة » وادرك سيمون ان الشاب المجهول كان يتصارع مع ارادة اقوى من ارادته .. مع شخص كان يلح عليه ان يتم عملا ضد رغبته .. وقد يكون هذا الشخص هو والده ، فقد تمتم قائلا : « نعم يا والدى ، سأطيع .. »

وعندما وصل الى مدينة « كان » ، اتجه الى فندق ماجستيك حيث سبقته برقية ، واستقبله البواب بابتسامة عريضة ، وقفز الفتى المكلف بالاستقبال لدفع الباب الدوار ، وتخلى كاتب الفندق عن زبائنه الآخرين ليخدمه هو ، واخرج حامل المفاتيح ، مفتاح الشقة التى سينزل فيها سيمون .. الكل كان يرحب به ، فقد كان يمثل فى نظرالجميع شيئا اكثر منشخصية اكبر مغامرى العصر . كان يمثل الظرف والسلطة ، والايمان الذى يفتقد فى هذا العصر . كان يمثل فى نظرهم رمز القوة المتأهبة للصراع ضد امبراطورية الشر . هذه هى شخصية القديس ! وهذا هو السبب فى فرحهم بلقائه ، وتوقعهم للاحداث التى تقترن بقدومه .

وما ان وصل الى غرفته فى الطابق السادس حتى ترك لأحد الخدم مهمة افراغ حقائبه ، بينما وقف يطل من الشرفة على خليج كان ، ومن حوله الكازينو ، والحدائق المزدهرة ، والى يساره جزر سان — مرجريت ، وسان — اونورا ، الغنية بالذكريات .. ثم البحر الصافى الزرقة ، تمخر عبابه من وقت الى آخر القوارب الجميلة . كما بدت فى الأفق الباطرة الجبارة : خريستوف — كولومب ، وهى تتمون قبل ابحارها عبر الاطلنطى .. كان المنظر خليطا من

الجمال الطبيعى والصناعى ، من الفخامة والبساطة .. تلك هى كان !

ونسى القديس فى هذه اللحظة ، دافيد كليف ، وما أحاطه من غموض ، فقد كان يتذوق الطبيعة ، ويمتع بصره بمحاسنها ، وغمره شعور بأن يركن الى البطالة ، والكسل اللذيذ ، ولكن المغامرة كانت قد قررت شيئا آخر . ولو ان تمبلار أوتى من القدرة ما يجعله يخترق الفضاء ببصره ، متجاوزا تلك الصخور الحمراء المرتفعة على الشاطىء ، متخطيا مصيف سان — تروبيز ، حتى منطقة رأس « بينا »، على مسافة من « ايبر » ، لرأى قصرا مطلا على البحر ، يجمع بين طراز القرون الوسطى ، وطراز عصر النهضة .

ويصل الشاطىء بهذا القصر لسان من الأرض ذو اتجاه واحد ، وقد علقت على بوابته لافتة تقول :

« ملكية خاصة .. ممنوع الدخول »

وكان القصر يمثل العودة الى الماضى .. رغم حداثة مبانيه وزخارفه العصرية ، فكأنه من خيال احد امراء الف ليلة وليلة ، أو احد المهراجات ، والسلاطين . ولو انك سألت احد هؤلاء الباعة المتجولين ، الذين يتنقلون من بيت الى آخر لعرض بضائعهم ، عن هذا القصر لأجابك :

— آه ! لا فائدة من الذهاب الى قصر سورسيلو، فسيسيئون استقبالك كما لو كنت شخصا كريها !

قصر « سورسيلو » ! هذا هو نفس الاسم الذى شد اهتمام القديس .. الاسم الذى كان دافيد كليف يكرره فى غيبوبته وهذيانه .. وكان منظره من بعيد يكون العناصر المطلوبة لايواء الحسناء فى الغابة

النائمة . ولو دخله الانسان لراى العجب !

فسيكشف الزائر عن غرفة الطفل التى ينطبق عليها وصف القصص والحكايات التى يعيش الاطفال فى أجوائها ، مثل حكايات اندرسون ، وشخصية سندريللا !

كانت الغرفة تزدان بالمقاعد الفسيحة ، المنخفضة، المحشوة ، وقد رسمت عليها شخصيات هزلية ، وبالونات ، ومكعبات بداخلها حروف . وكانت العرائس تنتشر فى كل مكان ! وكذلك الدمى المختلفة، والدببة المصنوعة من القماش .

وتقود بضع درجات الى عرش ، وضع بالقرب منه : تاج وصولجان وعلى مسافة منه ارجوحة ينام فيها طفل .. وهكذا ابدع المخرج فى اقامة بيت العرائس ، ولكنها كانت عرائس ذات قوام بشرى .

ووقفت طفلة صغيرة تغنى ، وهى تهدهد دبا ضمخا من القماش ، البسته طربوشا وردى اللون ، وكان ثوبها القصير ، وصندلها ، وشعرها الأشقر المسدل على كتفيها ، والذى يحيط به من حول جبهتها شريط أزرق ، ينم عن أنها صبية ، وكأنها « أليس » فى بلد العجائب . ولكن وجهها لم يكن ينم عن الطفولة ، بل كان وجه فتاة ، تثير الفضول فى ناظرها ليسألها عن عمرها : ولا شك أنه كان أقرب الى العشرين منه الى الخامسة عشرة ! فما الذى جعلها تعيش فى دنيا الاطفال .. ؟ هل كان ذلك بمحض رغبتها ؟ أو انها كانت معوقة الادراك متخلفة العقل .. كانت تغنى وهى تهدهد الدمية :

ــ تعقل يا دبى .. كن عاقلا يا نانوك الصغير. فعما قريب ستحضر جنيتنا الحنونة ، وترد اليك طبيعتك الحقيقية كصبى صغير . ولكن يجب ان تظل هادئا .

وفتح الباب ، وظهر على عتبته رجل فى الستين من عمره ، وكان فظ الملامح ، أبيض الشارب ، كثيف الحواجب ، مجعد الجبين ، ولاحت على شفتيه ابتسامة خفيفة وهو يشاهد الفتاة ودبها الدمية ، وظلت يده اليمنى فى جيب جاكتته ، تفرك ورقة بحركة آلية ، وهى الخطاب الذى تلقاه فى نفس الصباح ، وشغل باله .. وسأل الفتاة :

ــ حسنا يا ويندى ! هل انت عاقلة يا ويندى ..؟

ويندى ! هذا هو الاسم الذى كان دافيد كليف يتمتم به خلال هذيانه ، وهو الاسم الذى أثار هواجس القديس ! واجابت الفتاة : ــ نعم يا عمى .. وقفزت على قدميها ، وارتمت على الرجل ، فاحتواها بين ذراعيه ، وطبع على خديها قبلات رنانة ، تليق بطفولتها وقال معنفا :

ــ اهدئى يا ويندى !

ــ ماذا حملت الى ؟ ماذا تحمل فى جيبك ؟

فحرك حاجبيه بضجر وقال :

ــ ليست مصاصة ! .. بل هو خطاب مزعج ، سيضطرنى الى التغيب .

فتمتمت ويندى : اتفارقنى !

وتقلص وجهها المليح فجأة ، وتفرست فى وجه الرجل الذى نادته بـ « عمى » ، ولاح عليها القلق، كما نمت عن ذلك طريقة تحديقها فى قريبها ، وصاحت:

ــ لقد فهمت !

فسألها بقسوة :

ـ ما الذى فهمته .. ؟

ـ سبب سفرك .. ! انك ستسافر بسبب الساحرة التى تسعى دائما لايذائى !

وتنهد الرجل ذو الشعر الابيض طويلا ، وداعب الراس الشقراء بحنان وقال :

ـ الحق معك يا صغيرتى ! فان تلك الجنيات الشريرات تحركن مرة أخرى، وويل لهن اذا ما أمسكت بهن ، وانتصرت عليهن !

فاشرق وجه ويندى وقالت وهى تتفرس فيه :

ـ لست أشك فى أنك ستسحقهن .. اليس كذلك .. ؟

ـ أرجو ذلك يا ويندى . سأبذل كل جهدى لأنفذ ذلك .. ولن اتراجع أمام أى قوة فى سبيل سعادتك وتحريرك . سأحطم ذلك القيد السحرى الذى يبقيك هنا يا عزيزتى ، وستخرجين يوما طليقة !

فرددت بصوت خافت :

ـ طليقة ...

ووضعت الدب الدمية جانبا برفق ، كأنها تخشى أن يجرح ، واتجهت الى النافذة المزدانة بالزجاج الملون، وتطلعت من خلالها الى البحر الذى بدت مياهه حمراء اللون بفعل الزجاج الملون ، ثم استدارت وهى تبتسم ابتسامة خالية من البهجة وقالت :

ـ ان الوقت يطول يا عمى ..

ـ لا تيأسى .. فلن يدوم النصر لأولئك الشريرات

ولم تكن ويندى صاغية له ، بل كانت تعد على أصابعها ، وعندما رفعت وجهها العذب ، قالت :

ــ اننى لا استطيع ان اتذكر عدد السنوات التى بقيت فيها سجينة هنا تحت رحمة أولئك الشريرات .!

فأجاب عمها : ــ خمسة عشر عاما ، عما قريب يا ويندى .

ــ خمسة عشر عاما ! .. وكم كان عمرى عندما بدأ ذلك .. ؟

ــ كنت حديثة السن جدا : ستة اعوام ..

ــ اننى لا اتذكر .. اذا كان عمرى فى ذلك الوقت ستة أعوام ، فذلك يعنى اننى سأبلغ عما قريب واحدا وعشرين عاما .

ــ هذا صحيح . وها أنت قد اصبحت فتاة كبيرة . ولذلك أريد ان احررك ، لتتمتعى بكل انواع البهجة التى هى من حقك .

ــ شكرا يا عمى .. على طيبة قلبك .

وضمته اليها بظرف ، وابقاها هو بين ذراعيه لحظة ثم قال :

ــ يجب أن أرحل يا ويندى

وفى هذه اللحظة دخلت امراة طويلة القامة ، ترتدى ثيابا تذكرنا بما كانت ترتديه جداتنا ، واسلافنا .

فقال لها الرجل :

ــ ماذا حدث يا هورتنس .. ؟

ــ السيارة تنتظرك يا سير شارل .

ــ حسنا .. لقد كنت أودع ويندى .

ثم التفت الى الفتاة وقال لها :

ــ كونى عاقلة يا ويندى . واطيعى دائما الآنسة هورتنس ، والا ساء مصيرك اكثر من ذلك .

وارتجفت ويندى ، وعبر وجهها عن الفزع ، واختبأت خلف منكب عمها الذى تبادل النظرات مع

الانسة هورتنس ، ثم قال :

ـــ هيا ... لن يصيبك شيء مادمت عاقلة ..

وقالت المربية :

ـــ اطمئن يا سير شارل .. فستظل ويندى عاقلة، وسأسهر عليها .

ورفعت الفتاة راسها ، وابتسمت ابتسامة باهتة قائلة :

ـــ انت ايضا يا عمي ، كن حذرا ، فماذا سيكون مصيرى لو ان الساحرة خطفتك !

ـــ لن استسلم ، بل سأنتصر عليها .

ـــ هذا واجب . فاذا لم تتمكن فلن يستطيع احد ان يحطم السحر الذى جعل منى ضحية له . وسأظل اسيرة القصر حتى اصبح امراة عجوزا ... عجوزا جدا ... فى سن المائة ، بيضاء الشعر ، قبيحة ، هزيلة ... ولن يأتى الامير الساحر ...

ـــ اطمئنى ، وثقى ان السحر سيحطم بعد قليل .

وداعب شعرها وخرج ... واتجهت الى النافذة العليا ، وفتحتها وانحنت قليلا لتستعرض البواخر التى كانت تضرب فى عرض البحر .

حقا ... انها سجينة .!

الفصل الثالث

أ

خرجت سيارة سوداء ثقيلة من الجاراج الواقع فى الفناء الضيق لقصر سورسيلو . ووقف امامها رجل فريد الخلقة ، والمظهر ، يبرز شعر صدره الكثيف من قميصه ، ويتدلى شعر راسه حتى عينيه ، واسع الفم،

بادى الغباء .. هذا هو رئيس الخدم فى القصر .

ولكن هذا المظهر الغبى كان يخفي فجورا ، ونزوعا الى الشر .. وتفرس فيه سير شارل وسأله :

ــ الم تتأهب بعد يا كروج ..؟

ــ ولكنك لم تطلب منى يا سيدى ...

ــ لقد تلقيت اخبارا مزعجة .. ومن الافضل ان ترافقنى .

ــ و ... والآنسة ويندى ..؟

لمعت عينا الرجل ببريق لا يدعو الى الطمأنينة . وتظاهر سير شارل بعدم الالتفات اليه وقال :

ــ ان اسئلة الآنسة ويندى تزداد احراجا كل يوم . ويبدو ان هذه الفتاة مهمومة على مصيرها بقلق يتزايد كل يوم .

وهز الخادم الغريب الاسم ، رأسه وقال :

ــ لقد تبينت ذلك . فهى تكثر من سؤالى هذه الايام، كما لو كانت تأمل فى ان اطلعها ...

وتوقف لحظة بينما كان سير شارل يتابعه ببصره كما لو كان حشرة غريبة ، وقال له :

ــ حذار يا كروج من ان تبذىء القول ...

ــ اعتمد على يا سيدى .

ــ حسنا . سيسهر كلانا على ويندى .! والآن اريد ان تحضر معى .. هيا استعد .

ــ لاكون سائقا ..؟

ــ طبعا واسرع .. واحمل حقيبة للزينة ، فمن الجائز ان نبقى هناك ليلة .

ولم يبد على كروج امتثاله المباشر .. فسأله سير شارل :

ـ ماذا عندك ايضا ..؟

ـ كنت أتساءل عما اذا كنت قد تلقيت اخبارا من مستر دافيد .. لان ..

وتردد بشكل ظاهر ، فردد سيده : ـ لان..؟

ـ كنت اتساءل عما اذا كان يمكن حقا الاعتماد على مستر دافيد . فقد عامل مسز ويندى كأنه طفل ، فماذا لو انه رفض طاعتك يا سير شارل ..؟ ان ابنك شاب مقلق .

فصاحبه سيده بغضب ـ أننى لا اسمح لك يا كروج ... ولكنه ما لبث ان ضبط اعصابه وتظاهر بالوداعة وهو يقول :

ـ ساجيب على سؤالك الاول يا كروج لانك تحب اسداء النصائح الطيبة : ليس مستر دافيد هو الذى يشغل بالي . بل على النقيض ، آمل أن تنتهى المسائل بسرعة بمجرد وصوله ...

ثم اردف بلهجة لا تدع مجالا للمناقشة :

ـ هيا ... تأهب .

واقترب سير شارل من البوابة التى تفتح على الطريق المؤدى الى الشاطىء وهو يفكر فى الرجل الذى يعترض طريقة ، والذي قد تؤدى تصرفاته الى افساد الخطة التى اعدها منذ اعوام . لذلك كان عليه ان يتحرك بسرعة ، دون هوادة فى سبيل النصر الشامل . وارتسم فى ذهنه وجه ويندى الصغير ، فقد كان من الاعجاز فعلا تنشئه الطفلة على الخوف من السحر ، والجان وقد خدمت الظروف سير شارل لان طبيعة ويندى المسالمة ، المحبة لعالم الاحلام والخرافات الذى حبسها فيه عمها جعلها تؤمن بأن تلك الشخصيات الاسطورية هى أقرب الى العقل من الحياة نفسها !

وكانت تقول فى نفس اللحظة للآنسة هورتنس :

ــ حقا ان عمى شارل رجل يستحق الاعجاب ! فبالرغم من مخاطراته السـابقة ، فها هو فى طريقة لمنازلة الجنية « كارابوس » !... ولكن ماذا لو ابدلت شكلها ، بشكل حيوان ..؟

وهزت المربية العجوز راسها وقالت :

ــ انه رجل يستحق كل ثناء يا ويندى ! لقد كرس سير شارل كل حياته لك ... وكان باستطاعته ان يتزوج ثانية ، بفضل ظرفه ، ونشاطه ، وان يبنى عشا جديدا للزوجية ، ولكنه رفض عندما تنبه الى الطريقة التى استولت بها الساحرة القبيحة عليك ، فقرر خوض المعركة .

وهزت راسها عدة مرات ، واهتزت خصلات شعرها المدلاة على جبينها ، وترفق صوتها وهى تضيف : ــ

ــ يجب ان تتذكرى دائما أمرا واحدا وهو : اطاعة السير شارل .

فقالت الفتاة بدهشة :

ــ ولكننى أطيعه دائما .

ــ نعم .. هذا صحيح ، ولكننى اشـعر احيانا برغبتك فى التمرد ، وعدم اطاعة كل نصائحه ...

ومطت ويندى شفتيها بظرف ، وهى تتطلع الى الأفق ، متتبعة سحابة من دخان البواخر وقالت :

ــ لقد كبرت الآن ، واصبحت فتاة كبيرة ... وقد اعترف بذلك عمى منذ لحظات ، فقد تخطيت العشرين ، واحيانا ما ...

فقاطعتها الآنسة هورتنس قائلا :

ــ هذه هى الافكـار التى يجب ان تتخلى عنهـا

يا ويندى .. فالسن بالنسبة لك شيء ثانوى . وأنا أعرف انسانة تقترب من المائة عام ، ولكنها تبدو فى العشرين .. اتعرفين لماذا ..؟ لان جنية طيبة عطفت عليها ، وتولت حمايتها . اما انت يا ويندى فانك واقعة تحت سيطرة « كارابوس » ، وهى قادرة على أن تزيد مصيرك سوءا .

وتصاعد صوت محرك من الخارج ، فهرعت الفتاة الى النافذة المفتوحة واطلت منها ورات قاربا يخترق المياة ومن خلفه سيدة برونزية البشرة تتزحلق على زاحفة ، واحست ويندى بقشعريرة وقالت :

ــ اننى اشعر بالخوف عندما ارى مثل هذا المشهد . ولا شك انها ارواح تخرج من البحر ، وباستطاعتها ان تقفز لى هنا .

واقفلت النافذة بعنف ، وهزت الانسة هورتنس راسها وهى تخفى ابتسامة قصيرة وقالت :

ــ من الافضل ان يتقى الانسان سر هذه المخلوقات المجهولة . ولكنك فى مأمن هنا يا ويندى . ولن يستطيع انسان ان يلحق بك الاذى فى القصر .. ولا الشيطان نفسه ، ولكن ..

وتوقفت دون أن ترفع بصرها عن الفتاة لتكسب كلامها ثقلا .. ثم تابعت :

ــ ولكن ... انتبهى الى نفسك يا ويندى . فلا تطيلى التطلع من النوافذ الى البحر ، والوحوش التى قد تخرج منه .

وتوقفت قليلا وأضافت : ــ يبدو انك تستسلمين لتحذيرهم .

وعضت ويندى على شفتيها وقالت تعترف :

ــ انك على حق يا آنسة ... وأنا احاول نسيانهم ،

ولكن عندما أراهم يمرون كالسهام ، فأنهم يذكروننى بكل الاخطار المنتشرة فى كل مكان ... تلك الحيوانات التى ترى احيانا على سطح البحر ، تغطس ، ثم تعود ، نافخة الماء ... والحيوانات الاخرى التى تطير فوق رؤوسنا ، والتى نسمع اصواتها بالليل ... وطالما تساءلت ...

وتطلعت حولها ، وعبرت عيناها عن الرعب ، واخذت المربية تطمئنها . ولا شك ان سير شارل قد اتقن العملية :

وخفتت الفتاة صوتها وهى تقول :

ــ اننى أتوقع دائما عملية مسخ ، كما قرأت فى الكتب . فاذا تطلعت فى المرآة يوما ، ولم أر وجهى ، بل وجدت بدلها رأس بعض الحيوانات .. رأس ضفدع الجبل مثـــلا ...

وارتعدت الفتاة وهى تنطق بهذه الكلمات . وتنهدت الانسة هورتنس وقالت :

ــ هذا ما يؤدى اليه عدم الطاعة ... ولا أدرى ماذا سيكون مصيرك لو خطر لك هبوط السلم الى الخارج ! فهناك غيلان تتجول فى الجوار . وباستطاعة عمك الشجاع أن يتحداهم ، كما يفعل الان املا منه فى خلاصك .

ولكن ويندى ظلت مهمومة ، فأخذت تهتز على مكعب الخشب الملون الذى جلست عليه وقالت :

ــ أليس بلوغى الحادية والعشرين كافيا لتحررى يا آنسة .. ؟

فقالت المرأة متعجبة : ــ من أين لك بهذه الافكار الغريبة ... ؟

ــ لا أدرى .. ولكننى قرأت فى كتاب ان كل شىء يتغير فى سن البلوغ .. فما هو البلوغ اذن .. ؟

ـ اى كتاب هذا .. ؟

ـ لم اعد اتذكره .. ولكننى اظن انه نسيه كروج وقد فتحته ، وشعرت بالضجر لقراءته . ولكن هـذا الشىء الذى يسمى البلوغ أثار اهتمامى . أهو مرض يصيب الانسان فى سن الحادية والعشرين .. ؟

فأسرعت العجوز بالاجابة : ـ نعم ، شىء مثل هذا فيصبح الانسان قبيحا ، تغطيه الدمامل ، وينمو الشعر والاظافر بلا حد ... لا تفكرى بعد الان فى البلوغ يا ابنتى ...

فتنهدت الفتاة وقالت بصوت خافت لم تسمعه الانسة هورتنس : ـ يا للخسارة ...

ويا لتعاستك يا ويندى ! تلك الفتاة السجينة فى عالم غريب بحيث يصورون لها اختراعات العصر الحديث ورياضة الشباب ، من أعمال الشيطان . وان الطائرات التى تشق الفضاء هى تنانين تقذف باللهب ... وكانت تعتقد أن صائد السمك الذى يغوص فى أعماق البحر بالقرب من القصر ، هو وحش جاء من الاعماق ، وطفا على سطح البحر ، وهو ينفخ الماء ... وهكذا ..

ولكن ويندى كانت تحس فى أعماق نفسها بنداء خفى فان كلمة ـ البلوغ ـ التى اكتشفتها مصادفة خلال قراءاتها ، شوشت بالها ، وشغلت فكرها . فقد ذكر المؤلف ان للانسان الحق عند بلوغه الواحد والعشرين فى أن يتصرف كما يشاء ، وانه ليس فى استطاعة أى مخلوق أن يقف فى طريقه .

الا يزول اذن ـ دفعة واحدة ـ السـحر الذى احاطتها به الجنية الشريرة .. ؟ وبالرغم من حذرها ، وكتمانها فقد كانت تتعجل فى باطنها اللحظة التى تمارس

فيها حقوقهـا ، وتحس برغبة حادة فى كشـف سر « البلوغ » .

وهذا هو ما يسبب الكدر لسير شارل ، فى هذه اللحظة وهو يستقل سيارته ، ومن أمامه كروج جالسا الى عجلة القيادة باحترام غير جدير به .

ودلت تحركات شارب عم ويندى ، الابيض على روح عدوانية ، وأخرج من جيبه الخطاب الذى كان يفركه بيده من قبل ، وراح يعيد قراءته بعناية ، وكان قد وصل فى نفس الصباح ، وهو يقول :

سيدى : من مصلحتك أن تستمع لما سأخبرك به .. فان معلوماتى تدل على انك مهدد بالخطر ، ويسعدنى ان اساعدك .

وآمل ألا تنس المخلص لك ــ اوزوالد .

ولاحت القسوة الباردة على أسارير الرجل ، فهـو يعرف أوزوالد ، ولم يكن مستعدا للاستسلام للمناورات

وتحرك سير شارل الى الامام ، وانحنى على كروج الجالس أمامه ، ولكنه عاد الى جلسته مفضلا كتمان افتراضاته ، حتى اذا اقتضت الظروف فيما بعد ، اطلع خادمه .

ووقفت السيارة أمام فندق ماجيستيك ، وأسرع كروج ففتح بابها ووقف وقفة انتباه وقال له سيده :

ــ دع السيارة فى اقرب مكان من هنا .

ــ وأين أنزل يا سيدى .. ؟

ــ لقد حجزت لك غرفة هنا .

ودخل الى القـاعة ، واستقبله موظف الاستقبال بابتسامة عريضة وقال له :

ــ اننى سعيد برؤيتك ثانية يا سير شـارل . وتصور أنه عندما اتصلت بى تليفونيا هذا الصباح لحجز

شقتك ، لم يدهشنى طلبك .

ـ لمـاذا .. ؟

ـ لان أحد الاشخاص حضر الى هنا منذ يومين واستعلم عن موعد حضورك ، وكان يبدو أنه متأكد من قدومك .

ـ وهل ترك اسمه .. ؟

ـ مستربوت .

ـ أوزوالد بوت ، فيما أظن .

ـ معذرة ، فانه لم يذكر اسمه كاملا .

ـ ما هى اوصافه ..؟ وهل تحدث معك ..؟

ـ نعم .. فى المرة الثانية ، عندما عاد مرة أخرى وهو رجل قصير ، مستدير الوجـه ، يرتدى قميصا مشجرا مثل الامريكيين ، وقبعة من خوص البناما وقد أزاحها الى الخلف ، ويحمل آلة للتصوير تتدلى على بطنه ...

ـ هل فطنت الى النوع .. ؟

ـ نعم ...

وابتسم الرجل بخبث وقال :

ـ اذا لم تشأ مقابلته فباستطاعتى التخلص منه اذا عاد ، فأخبره ، مثلا ، بأنك عدلت عن الحضور الان ؟ فما هو رايك .. ؟

ـ كلا .. بل اطلب منه أن يترك عنوانه أو رقم تليفونه ، ولا تخبره برقم غرفتى .

ـ اطمئن يا سير شارل .

وابتعد الاخير قاصدا شقته ، ورتب متاعه ، ووقف فى الشرفة دون ان يعير اهتماما خاصا لساكن الغرفة المجاورة الذى وقف يدخن سيجارة ، ويتطلع الى المارة

وخرج سير شارل واشترى لعبا جديدة لويندى .
وعاد فى المساء ، وكان الليل قد بدأ يرخى ستوره على « كان » .
وسمع قرعا على باب غرفته فتساءل :
ـ من الطارق .. ؟ أهو انت يا كروج .. ؟
ولم يجب أحد ، ففتح الباب ووقف جامدا من الذهول وهو يتمتم :
ـ ازوالد بوت ..

الفصل الرابع

كانت احدى غرف قصر سورسيلو قد أعدت خصيصا لتكون قاعة طعام لويندى .. وقد طبعها سير شارل بطابع الطفولة ، مثل غرفتها الخاصة ، وغرفة اللعب بحيث تحس ويندى دائما بجو الطفولة يحيط بها . حتى الطعام ، فرض عليها نظاما خاصا .
ووضعت الانسة هورتنس صحفة الحساء التى يتصاعد منها الدخان بينما كانت الفتاة تحدق فى الافق فقالت لها المربية بلهجة جافة لتعيدها الى جو القاعة :
ـ تناولى حساءك .. !
ـ ولكننى لا أشعر بجوع .
ـ لو سمعك سير شارل ، لغضب .. وقد طلب منك طاعتى فى كل شىء .
فتنهدت الفتاة وقالت : ـ حسنا يا آنسة .
وأخذت الانسة هورتنس تصب الحساء بكميات كبيرة وهى تواصل تأنيب تلميذتها :
ـ تذكرى ان عدم الطاعة يؤدى الى أسوأ النتائج فان الجنية « كارابوس » تترقب خطأ جديدا من جانبك

لكي تمسخك الى ضفدعة جبلية !

وانتابت ويندى قشعريرة طويلة ، وتطلعت الى جلادتها بنظرة بائسة ، ولكن عينى الانسة هورتنس الباهتتين لم تكن توحى بأى أمل . وحسرت الفتاة بصرها واخذت تأكل . ووجدت المربية فرصة جديدة لنهرها فقالت :

ـ لا تحدثى ضجة عالية هكذا ! انك تولغين مثل الكلب !

وتنهدت ويندى ولم تقل شيئا ، وعندما انتهت من طعامها قررت أن تلقى السؤال التالى :

ـ ألم يكن كروج ، يا آنسة هورتنس ، ضفدعا جبليا ؟ ألم يتخلص من السحر الذى فرض عليه بفضل عمى ؟

وكانت المربية تتأملها وهى تفكر : « لاشك انه بالاستطاعة تحويل الانسان الى ابله ، عاجز عن الحركة والانفعال ! وقد كان سير شارل رجلا فذا » .

واحنت رأسها قائلة :

ـ تماما .. فقد كان كروج فى سابق أيامه شابا رائع الجمال ، فمسخه أحد السحرة الى ضفدع جبلى شنيع ، تغطى جسمه الدمامل . واشتبك سير شارل مع الساحر فى معركة ، وانتصر عليه وأعاد الى كروج شكله البشري .

ولكن كروج قبيح الخلقة .

ـ نعم .. لان عمك لم يتمكن من الحصول على نتيجة احسن من ذلك . ولكن ذلك أفضل من ضفدع ولو انك رايته وهو يتنقل على مخالبه طوال الليل ... لاشمأزت نفسك ...

ووضعت المربية أمام الفتاة طبقا من السميد المخلوط باللبن ، وأخفت ويندى استياءها ، ووضعت ملعقتها فى طبق الحلوى وقالت :

— لم يكن كروج اميرا ! ولكن ابى كان ملكا .. !

ثم أضافت وقد احمر وجهها :

— اتظنين انه سيعود .. ؟

— عمن تتحدثين يا ويندى .. ؟

— عن الامير الظريف .

— أى أمير .. ؟

—الا تعرفين هذه الحقيقة ؟ عندما ابلغ الحـــادية والعشرين سيظهر امير ظريف — كما ورد ذلك فى كل الكتب التى تقدميها الى — وسيصل الى هنا ليحررنى.

وهزت المربية منكبيها الهزيلين وقالت :

— ليس هذا مؤكدا .. هـــذا الى انك لم تبلغى بعد الحادية والعشرين ، كما أن حضور الأمير ليس أمرا محتما دائما . ولست فى حاجة الى ذلك ، فان عمك الطبيب يكافح من اجلك ، فـــلا تكونى جاحـــدة للجميل يا ويندى ، فباستطاعته القضاء عليك ! هيا تناولى السميد ! .

وفى نفس هذا الوقت كان زائر السير شارل واقفا فى الممر يتأمله وهو يقول :

— انك تبدو مشدوها .. !

— ماذا تريد يا بوت .. ؟ اننى لم ادعك لزيارتى. وقد امرت بألا يزعجنى أحد .

— اننى اعرف انك لا ترحب بزيارتى ، ولذلك لم أسأل كاتب الاستقبال حتى لا يصرفنى . وقد لاحظت أنك اصطحبت معك كروج ، فهل تهابنى الى هـــذا الحد يا سير شارل .. ؟

وكتم سير شارل غيظه وطلب من زائره الدخول تجنبا للفضيحة وقال له :

ــ حذار ان تتعدى حدودك ، وإلا ناديت كروج ليلقى بك خارجا .

ــ هذا أمر يسيء الى مشروعاتك .

وأخذ الزائر يتأمل أثاث الغرفة ، والثياب المعلقة بهدوء واهتمام ، ثم قال :

ــ انك تظنني شديد الغباء يا سير شارل .. فقد خفي عني ، طوال خدمتي لك ، ما كنت تضمره . وعندما طردتني بتهمة الاخلال بالأمانة ..

ــ لقد سرقتني ..

ــ لم أسرقك ، ولكنك اتهمتني بالسرقة ، ولميكن هناك دليل الا ذلك الذي وضعته أنت بيدك في غرفتي .

ــ هل في نيتك أن تحمل الى اليوم دليل براءتك ؟

ــ لا فائدة من ذلك بعد مرور أعوام طويلة ..

ــ لماذا كتبت الى اذن ..؟ لماذا حذرتني من خطر يتهددني واقترحت على مساعدتي .. ؟ أليس كذلك؟

ــ أرجو الا تصدر عنك كلمة تندم عليها بعدذلك. اننا نتحدث هنا كأصدقاء ، ولم أعد سكرتيرك الأمين.

ــ غير الأمين ..

ــ كما يروق لك ! فلست سكرتيرا ابعدته الصدف السيئة عن مخدومه الممتاز .. انني .. صديق ..

ورفع يده مرة أخرى ليوقف احتجاج الرجل وتابع حديثه :

ــ تصور انني حصلت على معلومات طوال كل تلك الأعوام .. معلومات عنك ، وعن قصر سورسيلو وابنة أخيك .. وهي معلومات هامة ..

ــ ها انا مصغ لك ..
ــ سأجلس أولا ..

وتهالك على مقعد مريح من الجلد ، وجلس بتحد ظاهر واشعل سيجارة ، وبدأ الحديث كما لو كان يروى قصة :

ــ لقد مات شقيقك منذ خمسة عشر عاما تقريبا. هل هذا صحيح .. ؟ لك مطلق الحرية فى ألا تجيب يا سيدى العزيز ، فالوقت فسيح أمامنا . وقدصعدت الى شقتك لعلمى بأن حديثنا سيطول ، ولم يكن يليق بنا ان نتقابل فى الخارج على مقاعد الحديقة العامة ، كما كنت تريد .. اليس كذاك .. ؟

ــ يخيل الى أننا مقبلون على مساومة .. هل غيرت من طرق استغلالك السابقة يا بوت .. ؟

ــ انك تعشق الأفكار السيئة ، فاذا كان ذلك يروق لك ، فاستمتع بالتهكم على ، ولكن ذلك قد يثقل قائمة الحساب . .ومن الحكمة أن تكونواقعيا هل صادفت يوما أحدا يتهكم على حدبة جاره .. ؟ ولكن حدبتى كانت أكثر نتوءا من حدبتك ، وهذا هو كل الفارق يا سير شـــارل . وهى التى قادتنى الى « كان » لأتحدث معك .. واكرر انه حديث الأصدقاء.

ولم يدر سير شارل هدف سكرتيره السابق من هذا الحديث ، ولا مدى ما يعرفه من معلومات . كما لم يخطــر بباله أن هناك شخصـــا ثالثا يستمع الى الحديث . ففى الشرفة المجاورة انحنى رجل ليستمع الى ذلك الصوت الذى جذبه .

ــ والآن .. صارحنى القول يا ســير شارل : ما هو المصير الذى تعده للانسة ويندى الظريفة ؟ .

ويندى .. ! لقد رن هذا الاسم كالمقذوف النارى

فى دماغ الرجل الثالث ، غير المرئى .

اليس هذا الاسم هو الذى سمعه سيمون تمبلار من الجريح فى حادث السيارة . ؟ هذ االاسم الذى كان يردده خلال هذيانه بالحاح شد اهتمام القديس .

وها قد أيقن سيمون — بطريق الصدفة — من ان ويندى ليس علما على بلد مجهول .. ولكنه اسم فتاة ظريفة .. !

واقترب من السياج الذى يفصل الشرفتين المتجاورتين ليستمع جيدا الى ما يقال .. وتابع نفس الصوت حديثه ..

— ماذا تنوى أن تفعله بها عند بلوغها سن الرشد يا سير شارل .. ؟ هل تنوى القضاء عليها . ؟

وأجفل القديس كما لو سمع ناقوسا يدق .. كما لو أن المغامرة تلقى اليه وحده بندائها المجيد . لقد كان ذلك بمثابة اجابة على النذير السرى الذى احس به منذ وقوع حادث السيارة .. تماما كما لو انه خرج من رحلة طويلة فى الظلام الى الضوء الساطع .

واستأنف نفس الصوت الحديث :

— اليس من المحزن يا سير شارل الا ترث كل الثروة التى خلفها أخوك « ديريك » ؟ لقد كان ذلك الرجل مفرط الكرم ، قليل التبصر ، شديد الغفلة .. فقد كان كريما عندما ترك لك ما يكفيك لتعيش مكرما ، ولكن ذلك لم يكن منبع الغنى .. ! وكان قليل التبصر عندما جعلك وصيا على تركته ، فعهد اليك بابنته ويندى .. وثروته .. فلم يتخذ الحيطة .. فما الذى سيحدث اذن .. ؟

وكان القديس يصغى باهتمام ، دون أن تفوته

كلمة واحدة ، وسمع صـــوت الرجل الاخـــر يقـــول بحــــزم :

ــ افرغ ما فى جعبتك .. !

ــ يبدو الأمر سهلا : فستبلغ ويندى عما قريب سن الرشد .. فان ذاكرتى لا تخوننى ، ولم ينقطع اهتمامى ، ياسيدى العزيز ، عن الاهتمام بقصر سورسيلو ، حتى عن بعد ..

ورنت كلمة « قصر سورسيلو » فى أذنى سيمون كالرعـــد .

ــ ما الذى سيحدث يا سيدى عندما تطالبك ابنة اخيك بالحساب ..

ــ انك تواصل الحديث يا بوت متخيلا اننى اوافق على اى كلمة منه ..

وخفت الصـــوت قليلا ، وبالرغم من الصعوبة التى لاقاها القديس لسماعه ، الا انه استوعب الكلمات التالية :

ــ من اين لك يا بوت اننى طامع فى ثروة ويندى؟ وما الذى يقلقنى من بلوغها سن الرشد .. ؟ ولوكان على أن أدير جانبا من ثروتها ، فلماذا تشغل بالى فكرة تقديم حسابات لها ؟

وسمع القديس ضحكة ساخرة وعاد الصوتالأول يقـــول :

ــ هل تأمل يا سير شارل حقـــا فى التمكن من خداعى ؟ ليس عليك الا ان تجيبنى ببســـاطة على الاسئلة التالية : لماذا تسجن ويندى فى قصر سورسيلو منذ ١٥ عاما ؟ لماذا تعزلها عن العالم ، وبخاصة فى هذا القصر الغريب النائى .. الذى لا يزوره احد ..؟

ـــ ان معلوماتك خطا يا بوت .. فان ابنـــة أخى ضعيفة الصحة ، ومن الأنسب لها تجنيبها التعب ، والألعاب التى لا يحتملها قلبها الضعيف .

ــ اننى مطلع على كل شىء أكثر ممـــا تتصور يا سير شارل . فان ويندى لا تذهب الى المدرســـة مطلقا ، ولا تتلقى رسائل بتاتا . وليس لها صديقـــة واحـــــدة ..

ــ ثم ماذا : ان مربيتها تلقنها التعليم الـــلازم .. وأكرر لك أن صحتها ..

فصاح الآخر :

ــ صحتها .. ! دعنى اذن أوضح لك يا ســـير شارل مادمت تمكر بى . انك تسعى لكى تجعـــل من ويندى معتوهة .. لذلك سجنتها مع لعب لا تناسب سنها ، ورتبت لها حياة لا تليق الا بطفلة فى السادسة من عمرها .. فلماذا تفعل ذلك يا سير شارل .. ؟

وساد سكوت طويل مقلق ، ثم شـــق السكون صوت بوت يقول :

ــ لقد خيل الى يا سيدى العزيز أنك عزلت ابنة أخيك عن الحياة الخارجية بالتدريج حتى لا يلتفت أحد الى اختفائها النهائى .

ــ انك غبى .. ! فان ويندى حية ، وتتمتع بصحة جيدة .. أعنى بصحة رقيقة تستدعى العناية ، ولكنها لا تدعو الى القلق ، اذا جنبت الحركات العنيفة .

ــ لابد أنها رائعة الجمـــال الآن .. ؟ فعنـــدما تركتك .. منذ اثنى عشر عاما كانت فتاة جذابة .

ــ حقا انها جذابة . .

ــ بل لقد خطر لى ذات مرة انـــك ستتقدم على

زواجها ع اعفاء قانونى ، وبذلك تسوى المشكلة .. ولـــكن ..

فزمجر مخدومه القديم : اكرر لك القول انـــك مجنون ، فمثل هذه الفكرة ..

ــ لديك اذن فكرة أخرى .. ؟

ــ كفى غمزا .. فان تدخلك قد جاوز الحدود .

فسأله بوت :

ــ الديك أخبار من دافيد ، يا سير شارل .. ؟

وزاد انحناء سيمون على السياج الفاصل عندما سمع اسم « دافيـــد » ، فان تركيب فصول القصـــة يتم أمامه كما لو كانت،هناك قوة ساحرة تتولى ذلك .

واجاب سير شارل :

ــ اننى ارتقب حضوره .. فقد ابدى رغبتـــه فى المجىء الى القصر منذ قليل .

ــ سيصبح الزوج المنشود لويندى .. فبزواج ابن السير شارل ، بابنة أخ سير شارل ، لن تخرج الثروة من ايدى الأسرة ، وتنتهى المشكلة ، اليس كذلك .. ؟

ــ من اعلمك بهذا يا بوت .. ؟

ــ مجرد فكرة ..

ــ اهو دافيـــد .. ؟

وادرك سيمون أن ذلك الرجل هو أب دافيد ، وكان لابد له أن يرى وجهه .

وتخطى سيمون الحاجز الفاصل بين الشرفتـــين ، واصبح فى الشرفة المجاورة ، واقترب بخطى خفيفة من بابها ..

الفصل الخامس

كانت غرفة ويندى تحاكى كل الغرف التى حجزت لها فى قصر سورسيلو ، مؤثثة على طريقة الأطفال : سرير مغطى بأغطية وردية اللون ، تحمل رسوم الحيوانات الضخمة ، سقف نقشت عليه رسوم العفاريت والجن ، وفى سرير صغير جدا ترقد عروس دمية ، بينما ترقد ويندى فى سريرها وهى تضم اليها الدب الدمية .

وكانت الآنسة هورتنس تجلس تحت قدمى السرير وعندما انتهت من قراءتها ، اقفلت الكتاب الذى يحمل على غلافه المذهب عنوان : « قصص من قوس قزح » وقالت :

ــ والآن يا ويندى ، يجب أن ننام .

فتمتمت الفتاة بصوت هزيل :

ــ أعتقد ذلك .. سأحلم ، فان القصة الأخيرة كانت مرعبة ..

واقشعر بدنها ، ثم قالت :

ــ اننى أشعر بالخوف أحيانا يا آنسة .

ــ وما الباعث على خوفك ما دام عمك يسهر عليك .

ــ يلوح لى أن كل ما حدث فى هذه الكتب ، يشابه حياتى .. وسوف يستخدم البعض حياتى يوما ليرويها لصغار الأطفال .

وابتسمت المربية وقالت :

ــ وما الغرابة فى ذلك ياويندى .. ؟ فكل حكاية

مستوحاة دائما من الاحداث الحقيقية ، وكـذلك فان مغامراتك الخاصة قد تصبح مادة للبعض . ليؤلف منها الحكايات .

وكتمت الفتاة تنهداتها ، وهى تستعرض أيامها المثقلة بالهموم داخل أسوار القصر ، والتى تختلف عما تخمنه ، وتمتمت :

ــ ولكن لا تنسى يا آنسة ، انه قد انقضت خمسة عشر عاما . .

ــ انــك تتعلقين بالترهــات .. هــل نســيت ان السحر قد يدوم قرونا . وقد قرأت عليك قصصا مماثلة . خذى مثلا : الحسناء فى الغابة النائمة .. لقد انقضت مائة عام قبل ان يظهر الأمير ، ويقوم بتحطيم السحر وتذكرى العقبات التى كان عليه تخطيها : الحواجز ، والأشجار المرتفعة ،والحيوانات المفترسة و ...

ــ وماذا حدث عندما استيقظت الحسناء .. ؟

فقطبت المربية حاجبيها ، مما أدى الى سـقوط نظارتها المشبوكة على أنفها وقالت :

ــ اتشغلين بالك بما يحدث بعد ذلك .. ؟

ــ نعم يا آنسة .. فعندما يحطم عمى السحر ، وينتصر على الجنية الشريـرة كارابوس ، ينبغى ان افهم كل شىء من جديد . ولن تكون لمعلوماتى الحالية اى قيمة . وتذكرى أنهم قد عينوا مدرسين للحسناء ليكشفوا لهـا عما كانت تجهله ، وكل ما حدث خلال نومها ، واذا كنت لست نائمة ، الا اننى لا ادرى شـيئا ..

وسألتها الآنسة هورتنس بقلق :

ـــ واين لك بهذا الملاحظات يا ويندى .. ؟
ـــ قرأت يوما فى أحد الكتب عن يقظة أميرة،وكانت الحياة تبدو لها قاسية ، مخيفة ، مما جعلها تخاف اقتحامها . .وفضلت العودة الى النوم ..
ـــ اطمئنى يا ويندى .. لن يحدث لك مثل ذلك .
ـــ ربما .. وكم أود بلوغ ذلك اليوم الذى يكتمل فيه عمرى ٢١ عاما .
ـــ اننى واثقة من انه لن يحدث أى تغيير .
واتجهت الى الحائط واطفأت النور ، تاركة الضوء الخافت للنواسة ينعكس على صـــور العفاريت ، والحيوانات المفزعة المرسومة على السقفوالجدران، فيدفع فيها حياة غريبة ، تثير الرعب الذى قصـــد اليه سير شارل وهـــو يصمم الجو الذى تعيش فيـــه الفتاة . وقالت :
ـــ نامى يا ويندى .
ـــ حسنا يا آنسة .
ومرت المربية بيدها الخشنة على الوجه الناعم ، وكتمت ويندى نفورها ، وخرجت ، وأغلقت البـــاب خلفها ، وبقيت ويندى وحدها تشد على رفيق الليل : الدب الدمية وتمتمت :
ـــ آه يا دبى الطيب .. انك تعلم ان الأميرسيحضر قريبا ؟ وانا واثقة من انه يقترب ، وانه سيحررنى .
واشرق وجهها الصـــغير بابتسامة واضافت تخاطب الدميـــة :
ـــ اتحب الآنسة هورتنس ، أما أنا فأكرهها ! ثم كروج ؟ انه يخيفك ايضا .. وليس هناك الا عمى ، فهو رجل طيب ، وهو يتصارع لانقاذى .. ومع ذلك.
واعترتها قشعريرة ، فرفعت الغطاء حتى ذقنها ،

وداخلها الشعوربأن الخطر يكمنداخل قصرسورسيلو اكثر مما يكمن خارجه ، وتمنت أن يصل الأمير على التو ليخلصها ! وتخيلته ويندى قادما من السحاب ، او من البحر ، تحوط به هالة من الذهب ، متأهبا لتحدى عالم السحرة ، والجنيات الشريرة ..

وغزا النوم جفونها ، فاستغرقت فى حلم مفزع : سلسلة لا آخر لها من القتال بين الحيوانات والزواحف وعندما عادت الآنسة هورتنس لتطمئن على راحة تلميذتها ، وجدتها هادئة ، وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة عذبة ، فهزت كتفيها وانصرفت .

وكان سيمون فى هذه اللحظات واقفا امام نافذة الشرفة التى تؤدى الى غرفة جاره ، واستطاع أن يتبين وجه سير شارل ، وهو يدخن بأنفاس طويلة ، ويقول بصوته الجليدى :

ـ لقد ذكرت اسم دافيد ، فماذا تعلم عنه .. ؟

ـ لا شيء .. الا أنه قلق للمشروعات التى تديرها لــه ....

ـ وأين قابلته .. ؟

ـ قابلته فى أحد بارات لندن منذ بضعة ايام .

ـ اشك فى ذلك ، فأنا أعرف ذوقك .

ـ كان دافيد هناك ، خالى الوفاض كما خيل الى ، وتبادلنا الحديث عن الماضى الجميل ، واخبرنى بأنك طلبت منه الحضور الى « كان » ، وقد نصحته بأن يسرع للقائك ، وان يطيعك .

ـ لم تكن تراودك الا فكرة واحدة ، هى الحضور الى هنا والاستعلام عن احوالى ظنا منك انك تستطيع مساومتى ..

ـ يا لك من مسكين يا سير شارل .. انك تظن اننى فاقد الذاكرة فعندما كنت اقوم بخدمتك ،تحدثت فى لحظات ضعف امامى عن مشروعاتك ..

ـ مطلقا .. !

ـ بل هذا ما حدث .. وعلى مدى ثلاثة عشر عاما استطعت تحليل أقوالك ، وتبين الصدق فيهـا من الكذب ، ومقارنتها بأقوال دافيد ..

ـ لماذا لم يحضر الى كان .. ؟ واين هو .. ؟ لعلك منعته من الحضور ، فحذار يا بوت ..

فهز السكرتير السابق راسه المستديرة وقال :

ـ لم يحدث شىء من ذلك ، فأنا رجـل محترم ، يحترم قوانين الأسر ، وعواطفها : لماذا أمنع الابن من مصالحة أبيه ، وبخاصة اذا كانت عواطفهمـا صـافية ...

ونهض فجأة على سـاقيه القصيرتين ، وتقـدم من الرجل الذى خدمه من قبل وقال :

ـ اصغ لى ! تجنب التهديدات المضحكة . لقد طردتنى من قبل بتهمة السرقة التى لم أرتكبها ،وكان بوسعى أن أدافع عن نفسى ، وأن أسبب لك المتاعب الشديدة مع القضاء ، ولكننى لذت بالصمت ، فلماذا؟

وتقدم خطوة أخرى وتابع حديثه :

ـ لماذا .. ؟ أليس لأننى كنت بعيد النظر ، فقد أدركت هدفك ، وهو الاستيلاء على ثروتها ، وكان باستطاعتك الانتفاع منها طوال المدة التى بقيت فيها ويندى قاصرة ، ولكن ذلك لم يكن يتعدى الربع ، وأنت تريدها كلها .. كلها .. هل سمعت .. ؟ وكان شقيقك قد أوصى بالتركة للاعمال الخيرية فيما لو ماتت ويندى قبل سن الواحد والعشرين ، لذلك كان

عليك ان تتركها حية .. ولكن سن بلوغها يقترب .
وضحك بوت متابعا حديثه :
ـ نعم .. اقتربت الساعة وهذا هو سبب حاجتك لدافيد ، وهو ايضا سبب حضورى الى هنا .
وساد الغرفة الصمت ، ثم ارتفع صوت السير شارل يقول : حسنا .. لقد بدأت أن افهم .. وسنهتم فيما بعد بالحماقات التى ارتكبها دافيد .. فما هو قصدك من الحضور الى هنا .. ؟
ـ ألم تفهم بعد .. ؟ ومع ذلك فان الامر سهل الفهم .. ان خطتك على وشك الانتهاء ، وأنا انتظر نصيبى .
ـ نصيب ...
ولم يتم سير شارل عبارته ، وتعذر على سيمون ان يتبين سبب هذا الصمت المفاجىء ، ولم يكن هو السبب لظنه انه فى مأمن ، واصاخ السمع ، ولكن لم ينبعث من الغرفة اى صوت لعراك بين الرجلين .
ورأى فجأة رجلا يرتدى بنطلونا وقميصا يكشف عن صدره المكسو بالشعر ، واقفا على عتبة الشرفة وهو يزمجر :
ـ ماذا تفعل هنا .. ؟ اننا لا نحب الجواسيس هنا .. !

وهوى بيده على ذراع سيمون المذهول وجذبه الى الداخل قبل ان يتمكن من المقاومة ، ووقع بالقرب من السرير ، واصطدمت كليتاه بخشبة ، ولكنه استعاد قوته ، واستعدت عضلاته للمصارعة . فقفز الى الجانب الآخر من السرير ، وابتسم مبتهجا ، فقد اقبلت المغامرة فى موعدها ، وكان مستعدا لها ،

فبادر بالهجوم وهو يقول : معذرة يا سير شارل . !
وتحية يا رفيق بوت. وانت ، يا جميل : كيفيسمونك؟
أن شكلك يدل على انك مزيج من الحيوانات الجبلية.
وقال سير شارل :
ـ من أنت ؟ وماذا كنت تفعل فى شرفة غرفتى ؟
سأدعو شرطى الفندق ..
ـ يا لها من فكرة رائعة . .سيسر عندما أقص عليه حديثكما ، لقد كنت أتنزه دون تفكير فى الأذى ، ولكن الصدفة شاءت أن أسمع حديثكما الهام .. من هى ويندى .. ؟
ولم يجد جوابا الا الصمت .. والقى سير شارل بنظرة قصيرة على خادمه كروج ، فضحك القديس بسخرية وقال :
ـ انك تطلب من منفذ اغراضك عملا دنيئا .. وهكذا يا جميل يكلفونك بأزالة المضايقات .. ولكننى آسف أننى سأحرمك من هذا .
وتقدم كروج خطوة نحوه ، فلم يهتز تمبلار ، وظل واقفا بغير اكتراث ، معتمدا بأحد ساقيه على السرير، وذراعاه ممتدان بطول جسمه . وتقدم كروج خطوة ثانية ، وثالثة . ولكن القديس أمسك به ، ورفعه ثم القى به الى الأرض فاصطدمت راسه بخشب السرير ، فجمدت حركته . وتحرك بوت ، لا الى الأمام ، بل ليختفى خلف سير شارل . وانقضت برهة من التوتر ، واتسعت ابتسامة سيمون ، وتطلع الى كروج الهامد الحركة وهز منكبيه بسخرية ، ثم قال :
ـ هذا هو جزاء من يهاجم المسالمين .. طاب

مساؤكم يا أصدقائى الأعزاء ، والى لقاء قريب ، كما أرجو ..
وامسك سير شارل بسماعة التليفون ، فقال سيمون : « حذار ... » .
فأعاد ذو الشارب الأبيض السماعة الى مكانها ، وقال القديس :
ـ هل رأيت كيف انه بالاستطاعة التفاهم .. اريد ان أكون حكما فى نزاعك مع بوت يا سير شارل
ـ ليس هناك اى نزاع أيها السيد الذى لا أعرف اسمه .. فقد حصل بوت على معلومات خطأ عن ابنى .. هذا هو كل ما فى الامر . .
ـ وهل وصلتك أخبار أخيرا عن ابنك .. ؟
ـ ولماذا تسأل .. ؟
ـ مجرد سؤال .. ولكن ما دمت ترفض تحكيمى فالأفضل أن أنصرف .. فالى اللقاء . .
ـ اننى لا أريد أن أقابلك ثانية .. ومن حسن حظك اننى لم استدع الشرطة .
ـ تصور يا سير شارل أن التهديد لا يثيرنى ... ومنذ اكثر من ثلاثة عشر عاما ..
واتجه الى الباب وأضاف :
ـ لا تحنق على اذا فضلت الباب على تلك الشرفات المحاطة بالسياج الحديدى .. طابتليلتك يا سير شارل ..
وهرع سير شارل الى الباب وظل واقفا يتتبع ببصره الرجل المجهول وهو يبتعد حتى اختفى أثره ، فأقفل الباب والتفت الى بوت قائلا :
ـ من أين أتى هذا الشخص الغريب .. ؟
وكان بوت يهز كروج ، ويصفعه بفوطة مبللة

بالماء البارد ، واخيرا استعاد الخادم صوابه ،وشهق، وهو يدلك جمجمته وساله سيده :

ــ كيف فاجاته ؟

ــ كنت اطل من نافذة غرفتى يا سيدى ، فلمحته واقفا فى شرفتك ، ينصت ، فأسرعت ..

ــ ومن اين اتى .. ؟

ــ لا ادرى ، وقد رايته فى الشرفة ..

ــ الا تعرف اسمه .. ؟ وانت يا بوت .. ؟

واحس سير شارل بالبلبلة ، فهذا الرجل يعرف الكثير من سره بعد سماعه مناقشته مع بوت ،وهكذا نشأ خطر جديد . ولا ينبغى أن تسوء الأمور فى اللحظة التى بدا فيها النصر محققا . والتفت الى سكرتيره القديم وقال له :

ــ هل رايت عاقبة الغفلة ، وعدم التبصر .. ؟ انك تخال نفسك ماكرا ، وقادرا على ابتزاز مالى ، فيالك من غبى . .

ــ لم اكن لأتصور ..

ــ لعلك شريك لهذا الرجل .. !

ــ لقد سمعته يا سير شارل وهو يقول :

وكان عم ويندى قد فقد ثباته قليلا فقاطعه صائحا:

ــ حسنا .. حسنا .. ولكننى اتمسك بأن اثبت لك خطأك ..

ــ اليس من الأفضل ان نتفاهم فى الخفاء .. ؟

ــ وما الفائدة .. ستظل تشك فى .. والافضل ان تصحبنى حتى تتحقق من الخطأ الذى دفعتك اليه حاجتك الى المال .. لقد تخيلت ان ويندى ليست على قيد الحياة ، واننى سأخاف تهديداتك ، وأدفع لك

ما تريـــــد .. تعال اذن .
ــ الى أين .. ؟
ــ الى قصر سورسيلو لترى ويندى وتتحــدث معها وتقتنع ..
ــ حسنا .. ومتى نذهب .. ؟
ــ بأسرع ما يمكن ، فليس لدى ما يبقينى فى كان ، مادمنا قد اتفقنـــا ..

الفصــل السادس

ما كاد سيمون يصل الى بسطة السلم ، حتى وقف يتساءل عما اذا كان السير شارل يتعقبه ، وانتظــر لحظات وسط الصمت المطبق ، ومر بزاوية المرشبح شخص ، فتصنع القديس أنه ضــل طريقه بحثــا عن غرفته ، وسمع باب غرفة السير شارل يقفــل ، فعاد ادراجه بسرعة ، ودخل غرفته دون أن ينتبــه اليه أحد . واقترب من الشرفة واخذ يتطــلع الى الجوار ، وعبثا حاول أن يسمع كلمة مما يدور فى الغرفة المجاورة ، والتى كان يجهــل شاغلها ، انه يشغل الغرفة الملاصقة .

وخطرت للقديس فكرة ، فرفع السماعة واتصــل بموظف الاستقبال وقال له :

ــ اريد الا يعرف أحد باقامتى هنا . ولو سألك أحد فأخبره بأنك لم تسمع باسمى من قبل .

ــ هذا أمر متعذر يا مستر تمبلار ، فأنت رجل عالمى ..

ــ قل اذن بأننى لم انزل هنا . واذا سألك أحد

عمن يشغل الغرفة رقم ٦٤٠ قل بأنها غير مشغولة. وحذار فانني اعتمد عليك ، واخطر بقية الموظفين .

وقطع حديثه فجأة ، اذ سمع ضجة خفيفة صادرة من الممر ، وخرج الى الردهة الواقعة امـام الغرفـة وفتح الباب قليلا فرأى خيال ثلاثة رجال يتجهون الى المصعد ، هم بوت وسير شارل ، ومن خلفهما الخادم يحمل حقيبة .

وحدث سيمون نفسه : « انهم راحلون جميعا .. فيا للاثارة .. » .

وأطل من شرفة غرفته المطلة على الحديقة ورأى ثلاثتهم يستقلون سيارة السير شارل .

ووقف قليلا يستعرض أحداث اليوم ، ومفاجاته ابتداء من حادث السيارة التى اصطدمت به ، ثم غادر غرفته ونزل الى الطابق الأرضى ، وأخذ يثرثر مع موظف الاستقبال ، فسأله بابتسامة ماكرة :

ــ هل سألك عنى أحد .. ؟

فلوى الموظف شفتيه بسخرية وأجاب :

ــ لم يسألنى عن شخصـك أحد يا مستر تمبلار ، ولكن البعض سألنى عمن يشغل الغرفة رقم ٦٤٠ ، والغرفة رقم ٦٣٨ ، فكيف كنت أجيبه .. ؟

ــ انهما خاليتان .

ــ وهذا هو ما حدث ..

وتبادلا النظرات فى صمت ، وقال له سيمون :

ــ اراهن على اننى أعرف اسم هذا الفضولى .

ــ حسنا يا مستر تمبلار ، بالرغم من انه لا امل فى كسب الرهان معك .

ــ انه السير شارل كليف .

— هذا صحيح ..

وتأمل الموظف ، هذا الزبون العجيب ، ففى كل مرة ينزل فيهـا تمبلار فى فندق الماجستيك ، يقتـرن ظهوره بمغامرة .. وفى هذه المرة ايضا ..

وسأله سيمون : هـل تعرف سـير شارل معرفة جيـدة .. ؟

— انه زبون وفى ، ولا اعرف عنه أكثر من ذلك .

— اظن أنه غادر الفندق .. ؟

— نعم ، تلبية لنداء سريع .

— لعله قصد قصر سورسيلو .

— ما جدوى الأسئلة يا مستر تمبلار ، ما دمت تعرف الأشياء قبل أن نخبرك بها .

ولـكننى لا اعرف موقـع هـذا القصر الشـهير

— بالقرب من « ايير » ، وبالرغم من أننى لم أزره قط الا أن السير شارل حدثنى عنه ذات يوم . وقد اسسه على جزيرة صغيرة من الصخور ، استجابة لبـذخه .

— وهل يقطنه بمفرده .. ؟

— يخيل الي ذلك ، فان سير شارل لم يحدثنى قط عن ليدى كليف . وعندما يحضر الى « كان » ، لا يصطحب معه الا خادمه كروج ..

— آه .. ! هذا الثور القبيح .. ! ومن يـكون الرجل الثانى الذى رافق سير شارل منذ لحظات . ؟

— ليس من زبائننا ، وكان ينتظر سير شارل منذ يومين ، ويخيل الى انهما مرتبطان بعمل .

وخرج القديس وسط الليل الهادىء ، حيث وقف الناس أمام الفندق يستنشقون النسيم العليل الذى يهب من البحر ، حاملا معه عبـق الزهور ، وكان

الجو ينبىء بالصراع الخفى الذى نسجت منه حياة القديس ..

وأخذ يفكر ، وهو يتطلع الى الأضواء الراقصة فوق المياه ، ومصابيح السيارات المحاذية للشاطىء والتى تكون أضواؤها منارة متحركة . وأحس برغبة شديدة فى أن يتمدد على مقعد طويل ، مستسلما لعذوبة الطقس . ولكنه كان يدرك فى قرارة نفسه بأن هناك رغبة أقوى تدفعه الى تتبع سير شارل ، والتعرف على ويندى .. !

وفى نفس الساعة كانت السيارة الليموزين الضخمة تحمل سير شارل وسكرتيره السابق على طريق « استيريل » . وكان بوت منصرفا عن تأمل الطبيعة، والاعجاب بجمالها ، غارقا فى تفكير قاتم ، وأخيرا خرج من سكونه وقال :

ـ اننى أتساءل : من يكون ذلك الرجل ، فاننى لم أره من قبل ، وانت يا سير شارل .. ؟

ـ وانا أيضا ..

ـ لعلك أوعزت اليه أن يسترق السمع من الشرفة ليقف على حديثنا .. وهذا عمل غير أمين .

ـ وهل كان كروج يقبض عليه بتلك الطريقة ..؟ ولا تنس كيف عامل هو كروج .. ؟

ـ ولماذا تركته ينصرف آمنا .. ؟ اننى لم أكن مسلحا ، أما أنت ، فعلى النقيض ..

ـ انك تسىء الظن بى ، فلست قاتلا .. وهذا الرجل كان يسعى لسرقة الغرفة ، ولم يكن يدرى اننى بداخلها ، فلما سمع حديثنا توقف ، واسترعاه حديثك .. فالطيور على أشكالها تقع ..

وانني اتساءل عما اذا لم تكن انت شريكا له .. ؟ فان سلوكك يدينك ..

وكان كروج قد اتجه بالسيارة الى سان ــ تروبوز ثم سلك طريقا ضيقا لا يتسع لمرور سيارتين . وعاد بوت الى الحديث قائلا :

ــ انك تلفق القصص لخداعى .. فحــذار ، ولهذا فاننى ما لم اتحدث مع مس ويندى على انفراد ، فلن أقتنع .

ــ كفى .. ! فانى أرفض النقاش مع حمار عنيد مثـــلك ..

وتوقف عن الحــديث قليلا بينمـــا كانت السيارة تتخبط وتقفز فى الطريق الردىء ثم استأنف الحديث :

ــ ولقد اتهمتنى بارتكاب جريمة املا فى استنزاف المـــال . وكان باستطاعتى الاكتفاء بتسليمك للشرطة ولكننى افضل ان تتأكد بنفسك من غبائك ، ولتذهب بعد ذلك الى الشيطان .

ــ وعلى اى حال فباستطاعتك أن تقدم احتجاجا الى مصلحة الطرق ، لأن هذا الطريق فى حالة سيئة .

ولم يجب السير شارل ، وكانت السيارة تقترب من البحر ، وبدا بناء ضخم يرتفع فى آخر الطـــريق ذى الاتجاه الواحد . ومال بوت الى الأمام مستطلعا ، فقال سير شارل :

ــ تبدو عليك الدهشة يا بوت .. ألم تحضر هنا من قبـــل .. ؟

ــ لم يكن ذلك برغبتى بعد ما أخبرنى دافيــد عن حماقتك ، ولكن الوقت لم يتسع لى .

ــ ولعل الشجاعة أيضا كانت تنقصك . فلاشك انك فكرت فى اننى احتفظ بوحش كاسر على استعداد

لالتهام من يجسر على الحضور الى .. اليس كذلك؟

وكانت السيارة تسير فى هذه اللحظة فوق رصيف ضيق تتلاطم الأمواج على جانبيه ، وبدت الصخور التى تكون مدخل الجزيرة الصغيرة ، ويرتفع عليها حائط كبير يلتف حول القصر ، وتمتم بوت : انه جدير بقصص الجنيات .

ولم يتفوه جاره بكلمة ، ولكن أسارير وجهه القاسية كانت تعبر عن فرحة السادى بوقوع الفريسة فى يده ..

وتوقفت السيارة ونزل منها كروج ، واقترب من البوابة ، واخرج من جيبه مفتاحا مسطحا ، وادخله فى القفل ، وفتح الباب الثقيل ، وعاد الخادم ـ السائق الى مقعده فى السيارة ، وقاد السيارة الى الداخل ، واغلقت البوابة باشارة ضوئية ، وكتم بوت ارتماده ؛ وقال سير شارل :

ـ من الطبيعى اننا لن نوقظ ويندى . وسيتسع لك الوقت صباح الغد لتتحدث معها .. وتدرك خطأك ..

واندفعت السيارة بسرعة حتى استقرت فى الفناء الضيق الداخلى . وتقدم كروج الى الباب الثقيل الذى يبدو أنه يقفل جراج القصر . وقال سير شارل :

ـ مرحبا بك يا بوت فى قصر سورسيلو ..

وتلفت بوت حوله ، وحاول أن يتمالك أعصابه ، وقال بصوت ساخر :

ـ يبدو هذا المكان وكأنه سجن .. ولكن ..

ـ ولكن ماذا .. ؟

ـ لا تظنني ساذجا لحد الاقتناع بحكاياتك الملفقة .

وأشار سير شارل الى ممر ضيق يؤدى الى الداخل وقال :
ــ من هنا ..
ــ ودخلا الى قاعة فسيحة جعل منها رب القصر صالة للحرس ، ومخزنا للاسلحة ، وزينها بديكور من العصور الوسطى . واخذ بوت يدور حول نفسه دون ان يخفى قلقه المتزايد . ودفع كروج البابخلفهم ووقف صامتا ، متحفزا .
وسأل السكرتير السابق : ما معنى كل هذا ..؟ واين مس ويندى ؟ .
فأجاب البارون : ان الوقت متاخر ، وهى نائمة الآن ، ولا تظن أننا سنوقظها ، كما قلت لك .
ــ حسنا ، سأنتظر حتى صباح الغد ، أعد لى مقعدا ، او اى شىء .
ــ اى شىء .. حقا يا بنى ..
وتناول بحركة قوية سيفا معلقا على الحائط ووجه حده الى صدر « بوت » فصاح هذا مذهولا :
ــ هل جننت .. ؟
ــ انك كثير الفضول يا بوت .. وهذا لا يروق لنا هنا ..
وكان السيف يدور أمام الرجل الصغير الحجم ، فصاح :
ــ حذار .. ! انك ستجزرنى ..
ــ هذا شىء مؤسف .. ولدينا طريقة أفضل. ادر ظهرك .. قلت لك ادر ظهرك .. حسنا ، هكذا.
وكان كروج قد ازاح ستارة كثيفة تخفى باباضيقا، واحس بوت بوخز السيف فى كليتيه ، فتقدم الى الامام وهو يزمجر ، ويتأوه ، ودخل الجميع الى ممر شق

فى الصخرة ، تضيئه على مسافات متقطعة مصابيح خافتة ، وقال بوت :

ــ ان قصرك جدير بالظهور فى أوبرا رومانتيكية.

ووصلوا الى صــالة فى أكتف طبقات الصخرة ، وسقطت بعض الاحجار على الارض .. وصاح بوت :

ــ كفى .. ! لنصعد ثانية ..

ــ كلا ! ما دمنا قد وصلنا .

ــ لقد فقدت صوابك .. وانا لا احب مثل هذا المــزاح .. !

ــ وانا ايضا اصارحك باننى جاد الى اقصى حد.

وحاول بوت ان يقفز الى الدرجات التى تؤدى الى خارج الكهف ، فحال دون ذلك كروج ، وانتصب أمامه مهددا ، فصاح بوت :

ــ افسح الطريق .. !

ولم يتحرك الخادم ، ودار بوت حول نفسه وصاح محتجــا :

ــ اريد الخروج من هنا فورا ..

فكرر سير شارل : فورا ، أو غدا .. ماذا تظن ؟ فى دقيقة ، فى ساعة ، فى يوم .. أسبوع .. أو سنة. أو عدة سنوات بقيت من حياتك . ؟

وكان صوته منذرا بالشر ، وحد الســيف يهــدد الرجل الذى وقع فى الفخ دون تفكير منه .

وتابع سير شارل حديثه :

ــ أن الوقت يتسع أمامنا فى سورسيلو .. ان لدينا وقتا كافيا ..

ــ أريد أن أخرج ..

ــ فيما بعد .. عندما تعرف ..

ـ ما الذى ساعرفه .. ؟

فقال عم ويندي وهو يفرقع اصابعه مشيرا لكروج :

ـ من هذا .. ؟

وبسرعة مذهلة لم تترك لبوت وقتا يتبين التفاصيل انحنى كروج والتقط من الأرض قطعة من المعدن ، ورفعها ، ودفع بوت الى الحائط ، ، وادخـــل القيـــد الحديدى حول كعب الرجل القصير ، ثم أدخل قيدا ثانيا حول كعبه الآخر ، ونهض بوت وهو يتـــأوه ، وتقدم خطوة ، ولكنه سقط على الأرض ، فقد كان كل قيد مرتبطا بسلسلة مثبتة فى الصخر .

وقال بوت : انك معتوه يا سير شارل .. فك قيدى .. ! انك لا تدرى ماذا سيصيبك لو قـــدمت شـــــكوى ..

ـ وماذا كان يصيبك يا بوت لو اننى قدمتشكوى ضد مساومتك القذرة مع مخدومك السابق .. كنت تظن نفسك منتصرا .. أليس كذلك .. ولكننى كررت لك القول انك مخدوع ..

ـ اطلق سراحى ، ولن أقول شيئا ..

ـ لقد تأخر بك الوقت يا بوت . لقد كنت مزمعا ارتكاب جريمة بشرط أن تنال نصيبك . وجوابىعليك أن أزيحك من طريقى . وباستطاعة صديقك ، الذى برع فى عبـــور الشرفات والتسمع على المحادثات الخاصة ، أن يبحث عنك .. ولن يجدك مطلقـــا ، فأنت باق هنا ..

وانحنى على ضحيته وهو ينغم كلماته كضربات المطرقة :

ـ ... فى عالم لا تنطبق عليـــه القوانين ، والنظم الخارجية ، وستعلم عما قريب .

ــ ان هناك من يعرف مكانى .. وقد شرحت الأمر قبل ان احضر اليك ، وتركت خطابا لزميلى الذى كان فى الشرفة ..

وكان بوت يتعلق بهــذه الاكذوبة املا منــه فى ان يخدع المنتصر عليــه ، ولكن سير شارل قاطعه بضحكة مقتضــبة :

ــ ماذا يهمنى . ! اكرر لك اننى السيد القوى فى سورسيلو والكل يطيعنى ، ويتصرف وفق مشيئتى ، ولن تخرج من هنا يا بوت .. فأنت الذى بدأ المعركة ، وكانت الخدعة على وشك النجاح .

فصاح السكرتير :

ــ ولكن دافيد على علم بحضورى ..

ــ سأدبر الامر معه ، فهو ابنى ، وعليه طاعتى .. اما انت يا بوت فليست عندى الا نصيحة واحــدة اقدمها لك ..

واتجه الى الدرجات المنحوتة فى الجرف ، وكان كروج قد سبقه ، ونهض بوت ، ورنت السلاســل فى قدميه ، فسقط وهو ينتحب ، وقال سير شــارل متمهــلا :

ــ طابت ليلتك يا بوت .. !

الفصل السابع

التهم القديس طعام افطاره ، وقفز الى ســيارته متجها الى « ايير » ، وقادها متمهلا ، ليتأمل الطبيعة التى اختلطت الوانها على شاطىء الأزور الجميــل ، وتوقف قليلا فى مصيف سان ــ تروبيز ، متسكعا بين

الجمهور المختلط من السكان الأصليين ، والسواح الاجانب ، والفتيــات القادمات من الضواحى المجاورة فى ثياب الرجال .

واجتذبه أحد البارات ، فجلس فى حديقته ، وعبثا حاول أن يعرف من الخادم موقع قصر سورسيلو ، فانه لم يسمع عنه من قبل ، بعكس أحد الصيادين فى الميناء ، فقد حك ذقنه وقال له :

ـ سورسيلو .. ! من هذا الطريق .. انه بناء عجيب ، فريد فى نوعه ، ولا أظنه مسكونا .. فاننى لم أر به أحدا قط .. !

ولم تثبط هذه الاجابة من عزيمته ، بل انها دفعت فيه الحماس . وكان لابد له من نقطة ارتكاز ، يسلط منها اشعاعه على القصر وتذكر صديقا له يملك فندقا متواضعا فى الجوار ، فسأل الصياد :

ـ هل لك أن ترشدنى الى فندق روبير ديفار ؟.

ـ لقد باع مسيو ديفار فندقه .. ولكن لا تحزن . فقد أسس فندقا آخر أجمل منه بعد « كاليير »مباشرة واسمه « الحمامات » .

وتذكر سيمون أن « كاليير » هذه تقع بالقرب من رأس « بينا » ، فقاد سيارته على شاطىء « مور » ، وهو نفس الطريق الذى سلكه سير شارل فى العشية، وعندما وصل الى العنوان المقصود لم يجد عناء فى العثور على فندق « الحمامات » ، وكان مكونا من عشش صغيرة « بنجالو » حيث يجد المحبون مأوى مثاليا . فترك سيارته فى مكان مغطى بالنجيليات ، ثم قصد الى البار الذى ينفتح مباشرة على بلاج خاص.

وأخذ تمبلار يتأمل الديكور الذى صنع بمهــارة تناسب حياة المغامرة ، فقد صفت المظلات الملونة ،

ومن تحتها المراتب الخاصة بالبلاج . والمقاعـــد المتحركة ، والالعاب المســلية المختلفة .. وانتشرت بين كل هذا مجموعة منتخبة من الحسان ، وهنشبه عرايا ، يزيد من اغرائهن لون بشرتهن البرونزى .

وتساءل القديس عما اذا كان قصر « سورسيلو » يستحق كل هذا العناء .. ؟ وهل يترك هـــذا الجو الحالم ، للاندفاع فى متاهات ذلك القصر .. وفيما هو يتردد ، بين البقاء عدة أيام فى هذا المكان ، وبين المضى فى مغامرته ، سمع صوتا يناديه : يا قديس .!

وادار ظهره ، ورأى صديقه القديم « روبير ديفار » يتقدم منه ، فرحا ، متهلل الأسارير . وكان رجـــلا طويل القامة فى الحلقة الرابعة ، قوى الجسم،فارط الجاذبية ، وكانت زبوناته يتزاحمن على الجلوس معه والائتناس به بعد نهاية العمل .

وشد على يدى سيمون بحرارة مرحبًا .

ــ وأى سعادة أن استقبلك فى فندقى ! آمل ان تبقى هنا بضعة أيام .

ــ هذا يتوقف ..

ــ هل أنت فى طريقك الى مغامرة جديدة .. ؟

ــ ارجو ذلك .

وسارا جنبا الى جنب الى طاولة تظللها مظـــلة برتقالية اللون ، وبجانبها فتاتان تتنازعان على لعبة البالون . وانحنى ديفار على القديس وقال له :

ــ البضاعة من الدرجة الأولى فى هذا الموسم .

وضحك كلاهما ، ووضع خادم أمامهما شرابامرطبا وسأله صاحب الفندق بصوت عذب :

ــ ما الذى يبحث عنه القديس ..؟

ــ قصر غامض ، كما يصفونه ، هو قصرسورسيلو اتعرفه .. ؟

ــ بالتأكيد .. ! انه مكان عجيب يا قديس . انه المكان الجدير باجتذاب رجل مثلك ، وهو ملك لرجل بريطانى : السير شارل كليف .

ــ هل رأيته يا روبير .. ؟

ــ لمحته ذات مرة ، فهو لا يخرج الا نادرا .

ــ وهل فى الاستطاعة زيارة القصر .. ؟

ــ مستحيل ! فهذا الرجل الارستوقراطى ينفــر من التحدث مع اى مخوق . وهو يعيش فى عــزلة داخل قصره ، خلف القضبان والجدران ..

وتوقف صاحب الفندق مترددا ثم تابع الحديث :

ــ يبدو أن السير شارل يعيش حياة القــرون الوسطى .. فهو فريد فى نوعه .

ــ هل يعيش بمفرده هناك .؟

ــ نعم ، طبقا لمعلوماتى ، وهناك خادم ، يعمل سائقا ، ولعله طباخ أيضا ، ويقوم بشراء لوازم القصر ويرى من وقت لآخر فى سوق لافاندو ، أو فى بورم ، حيث يشترى ما يريد ، ولا ينطق الا بالكلماتالضرورية ثم يدفع حسابه وينصرف .. وهو شخص عجيب أيضـــا ..

وتذكر سيمون شخصية الرجل الذى اشتبك معه فى عراك العشية ، وكيف أن خلقته البهيمية لا توحى بالثقــــة .

وعاد يسأل : هل يبعدا قصر سورسيلو عن هنـــا كثـــيرا .. ؟

ــ انه يقـــع على مســـافة ١٥ كيلومتـــرا : ومن

الصعب الوصول اليه من الطريق البرى . اذ يجب الانتقال من الطريق الكبير المألوف ، والسير فى طريق ضيق مهجور .. أما الدخول الى القصر فهو أمرمحال. فلن يفتح لك أحد . حتى ساعى البريد فانه يضع الخطابات فى صندوق خاص . وعبثا حاول أحد التجار ، أو اثنان ، عرض بضائعهما . .

ــ النتيجة : ان سير شارل كليف يحتفظ ببعض الأسرار التى يطويها فى قصره .. ؟

ــ من يدرى . ! ولكن الثابت أن كليف يملك ثروة كبيرة ، وليس أدل على ذلك من حبه للاشياءالغريبة المترفة ! ولكن .. انظر .. !

ومد ديفار ذراعه مشيرا الى قارب يخترق البحر من أمامهما ، وعليه رجلان عائدان من رحلة صيد وقال :

ــ .. ولكن هذا البحر ملكى ! فاذا راق لك ، فسنقوم سويا بنزهة بحرية .. اتفقنا .. ؟

ــ أى انك تقترح على أن انزل القصر من البحر؟ حسنا ..

ــ لا مجال للنزول ، بل مجرد القاء نظرة شاملة. لقد فهمت سبب وجودك هنا .

ــ حسنا .. ! سأكتفى بذلك الآن .. بقىسؤال: اليس لهذا الانجليزى الغامض ابن .. ؟

ــ من الجائز ولكن لم يره أحد . وقد سمعت البعض يتحدث عن قريب كان يستعلم فى « لافاندو » عن سير كليف . ولكننى لا أعرف اى تفصيلاتاخرى.

ــ وهل له ابنة أخ تبلغ العشرين عاما ، وتعيش معه فى القصر .. أو لعلها غادرته .. ؟

وتفرس سيمون فى صاحب الفندق الذى حك أنفه

الطويل ، ولم يخف حرجه :

ـ هناك سيل من الاشاعات عن سورسيلو ، التى تلاقى رواجا فى بلدنا المغرم بالأقاصيص العجيبة. فالبعض يزعم أن سير شارل كان يصحب معه فتاة صغيرة عند بدء اقامته هنا . ولعلها رحلت .. ومع ذلك ..

ولاح عليه التردد بشكل ظاهر وتابع حديثه :

ـ ان ما انقله لك هو مجرد روايات ... فقد روى بعض الصيادين انهم رأوا امراة مجهولة ، أو جنية ، وفق تعبيرهم ، وكانت تسبح بجوار سورسيلو .

ـ رائع ! لم يعد ينقص القصة الا ان تجذبنى اغانى الجنيات . ولعل احداهن هى التى تخرج من المياه لزيارة صاحبك الانجليزى الغامض .. ؟

والواقع ان الصيادين لم يبالغوا فى روايتهم ، وان كان أسلوبهم اقليميا ، ففى كل صباح ، اذا سمح الطقس ، والفصل ، كانت ويندى تنزل سلما شق فى الجرف ، يصل ما بين القصر والبحر . وكانت درجاته قد شقت بغير عناية كبيرة ، فجاءت مرتفعة الامر الذى يسلى الفتاة ويبهجها عند القفز ، أما بالنسبة للمربية فقد كان الامر شاقا !

وكانت الانسة هورتنس تنهى الفتاة عن ممارسة السباحة قائلة :

ـ يجب أن تقلعى عن هذه العادة يا ويندى . وسأتحدث مع سير شارل بشأنها ، فهو متساهل جدا ومن الخطأ أن يسمح لك بهذا النزق اليومى .

وتجيب ويندى معترضة :

ـ ولماذا ؟ ان هذا هو الشىء الوحيد الذى يجلب

لي السعادة لمدة ساعة ، اهرب فيها من « كارابوس » الشريرة . كما أنك ترين ، من مراقبتك لى ، اننى لا اقترب من الشبكة السحرية .

ــ اعرف ذلك . ولكننى أخشى أن يصيبك مكروه فأنت تتجاهلين الخطر ، اذ لو انقطعت الشبكة ، واكتشفت الجنية انطلاقك ، فانها تشدد من سحرها وتسجنك فى زنزانة مظلمة ، ولعلها تمسخك فى صورة بهيمة .. !

وكانت المربية تلهث مثل الجواد الذى ينازع الموت ، وهي تهبطالسلم ، درجة ، فدرجة ، يساورها الخوف دائما من الانزلاق ، ومن الا تتمكن من العودة .

وكان نسيم الصباح يحمل صدى ضحكة ويندى الصافية وهي تقول :

ــ ليس هناك من يجبرك على ان تتبعينى يا آنسة .

ــ لقد طلب منى عمك ان اسهر عليك .

ــ لا خطر على هنا ، واقسم لك ، انه بالرغم من الشبكة السحرية ، فأننى لو رأيت واحدة من تلك البهائم الشيطانية ، فسأختفى ، ولن يتمكن احد ان يرانى وانا فى الكهف .

وانتهى الامر بأن وافقت الآنسة هورتنس على عدم نزولها خلف الفتاة ، فقالت لها :

ــ حسنا يا ويندى . سأسمح لك بالنزول وحدك غدا . ولكن حذار ..

واهتز المنظار على الانف الرفيع ، وارتفعت السبابة منذورة :

ــ سأراقبك من فوق

ــ حسنا يا آنسة .

ــ ليس هذا هو كل شيء . . . تذكرى دائما ما سيحدث

لك اذا استولت عليك روح شريرة ... ماذا سيحدث يا ويندى ..؟

وشعت عينا الفتاة الجميلتان بالخوف ، وزالت عنها بهجتها وقالت :

ـ سأموت للتو ...

ـ على الاقل ...

ولم تشعر بلذة السباحة ذلك اليوم ، ولكن عذوية الماء ، وانطلاق حركاتها ، انسياها جزءا من تهديدات الآنسة هورتنس . وعندما عادت الى القصر رات سير شارل الذى استقبل ابنة اخيه بترحيب مصطنع وسألها:

ـ هل كان الاستحمام لطيفا اليوم ..؟

ـ رائع يا عمى . كم انا مسرورة لرؤيتك ثانية . فاننى لم اكف لحظة واحدة عن التفكير فيك منذ سفرك . هل رايت الجنية ..؟

فأحنى راسه وقال بصوت مؤثر :

ـ نعم ، رايتها .

ـ وهل جسرت على قتالها ..؟

ـ طبعا . واقسم لك انه كان عراكا عنيفا ...

ونسج العم من احداث العشية قصته :

ـ لقد أرسلت الى « كارابوس » اثنين من شياطينها . وحاول احدهما ان يقدم نفسه الى كصديق ، فتسلل الى غرفتى ، وفيما انا احاول تحليل حديثه ، وتبين الصدق فيه ، تسلل شيطان آخر من النافذة .. ودارت المعركة ، ولحسن الحظ ان كروج لمح من غرفته شيئا مريبا ، فجرى الى ، وساعدنى .

فتمتمت الفتاة : ـ لابد انها كانت معركة مخيفة .

ـ مفزعة ! كان الاثاث يتهاوى ، والضربات تتوالى ،

ولحســـن الحظ أن النصر كان لنا يا ويندى . وقد تركنا احدهم يهرب ...

ــ و ... والآخر ..؟

ــ لقد اسرناه ... نعم ياويندى ، امسكنا به وأوثقناه بالحبال ، ورميناه فى متاهه .

فجلجلت ويندى : ــ هنا ..؟

ــ طبعا ! وأى مكان آخر تظنين ..؟

ــ يا لك من بطل ياعمى ! ولكن .. ولكن ماذا لو هرب ..؟

ــ اطمئنى ، فقد اوثقناه بالسلاسل . ولكنه قد يصرخ ، ويعول ، لينادى اصدقاءه لنجدته . فلا يقلقك ذلك اذا سمعته !

وشردت ويندى بفكرها برهة ، وأخذت تفكر ، وتحلل حديث عمها ، كلمة بعد كلمة ، لتستخلص المعنى ، وتشوش فكرها ، وراعها الخطر الماثل وراء تلك القصة. فهذا الشيطان المسجون فى متاهة من قصر سور سيلو يسبب لها الرعب ، والقلق المستمر .

ووقفت خلف سياج الشرفة تتــأمل الفضاء البعيد، والسماء التى كانت تعبرها بعض السحب الذهبية هذا الصباح ، ثم التفتت الى عمها وسألته :

ــ حدثنى يا عمى شارل ... كيف كان شكل تلك الشياطين ..؟

ــ على شكل البشر ياعزيزتى ... مثلى تماما ، او مثل أى انسان آخر .

ــ وكيف تعرفت عليهما .. ؟

ــ لاننى حــذر دائما . فأنا أعرف ان اقل تخاذل من قبلى ، ستدفعين انت ثمنه . لذلك فأننى فى يقظة دائمة. وعندما يزورنى رجل مجهول ، أسأل نفسى على التو :

من يختبىء خلف هذا الوجه البشرى ..؟ من ارسل هذا .. هذا « الرجل » ؟ أليست « كارابوس » الرهيبة ..؟

ــ ولكن للشياطين قرونا صغيرة على جباههم ، وذيلا فى الخلف يهتز دائما .

ــ هــذا صحيح ياويندى ! ولكنهم يعرفون كيف يخبئونها بمهارة تحت الثياب بحيث لا يراها احد ويغيرون من اشكالهم وفق مشيئتهم .

وتنهدت ويندى ، وهزت رأسها الظريفة وقالت :

ــ وهل واتتك الشجاعة لدخول المعركة !

ــ نعــم .. مع كروج ! وفى اللحظة التى هجمنا فيها عليهما ، اغمضنا عيوننا حتى نتجنب نظراتهم . فان عيون تلك المخلوقات مثل النار ، فأذا لم يحذرها الانسان، اتت عليه للتو .

ــ وهل احدهما سجين الآن ..؟

فاخذ سير شارل يضحك برفق واجابها :

ــ لا تطالبينى برؤيته يا ويندى ، لاننى سأرفض ، خشية ان يسبب، لك الاذى .

ــ ولكنه لا يستطيع الاضرار بك يا عمى شارل ..؟

ــ لاننى اظل يقظا ، حذرا . وعندما اقترب منه ، اتجنب نظراته ، وكذلك كروج ...

ولاذت ويندى بالصمت ، وسرحت ببصرها فى الافق طويلا . وغزتها رغبة لم تستطع تعليل اسبابها ، ولا نتائجها : ودت ان تبارح قصر سورسيلو لتكتشف شيئا آخر ... عالما مجهولا ، خمنت وجوده فى مكان آخر ، على تلك الارض، التى ظلت محرمة . ووصل بها الامر ان تسأل نفسها عما اذا لم تكن متأهبة لتحدى سحر كل

الجنيات لكى تصل الى البلد الذى يوجد فيه ، بلا شك ، امير ظريف ، لا تقتصر قدرته على العراك من اجلها مثل عمها شارل ، بل على خلاصها الى الابد من السحر الذى يقبرها فى قصر سورسيلو .

الفصل الثامن

ليس افضل من الجوع لاذلال الانسان ، اذا ترك بعض الوقت بغير طعام : تلك كانت نظرية كروج ، خادم سير شارل ، وسائق سيارته ، والسجان حاليا . فقد عهد اليه بالسهر على « راحة » المسجون ! فقد تركه ساعات طويلة مكوما على الصخور قبل ان ينزل السلم المؤدى الى « المتاهة » ، التى كانت تضاء بشعلة ضئيلة خافتة ، والقى بوت الذى اصبح متسخا ، اشعث الشعر ، نظرة حانقة على كروج الذى امسك بمصباح كهربائى بيده اليسرى ، وبطبق داخن بيده اليمنى .

وصاح السجين بصوت يشبه النباح : — ما هذا . . ؟

— طعام .

فصرخ بوت وهو فى قمة الغضب :

— اذهب الى الشيطان . . اننى ارفض الاكل ، وافضل الموت جوعا . .

— كما تشاء . .

ولكنه انحنى وقدم الطبق للسجين ، وكان يحوى مرقا غريبا اعده هو من فضلات المائدة . وصاح به بوت :

— قل لمعبودك السير شارل انه اذا اصر على ابقائى هنا ، فسيدان بتهمة القتل . فانكما شارعان فى قتلى . . . اذهب !

— حسنا . انك لا تأكل شيئا ، وتصرخ كالدجاجة

المذبوحة ، وقد بدأت رائحتك تفوح بالقذارة ... ثم تهدد السير شارل ..؟ حاول ان تتذكر انك انت الذى جئت تبحث عنه . انت الذى اردت الاحتيال عليه ومساومته .انت وليس هو ! تحياتى ، وتمنياتى بأن تنام نوما طيبا !

وصعد السلم وهو يضحك ساخرا ، فناداه بوت ، فى محاولة لاستمالته .

ــ اسمع يا كروج ... لا تكن ابله ...! دع سير شارل يرتكب حماقاته ، ولكن ابتعد أنت ، حتى لا تتهم بالاشتراك فى الجريمة ... واذا أخذت جانبى فاننى أعدك باخراجك من المأزق . سأخبر الشرطة أننى ادين لك بحياتى . واذا أردت فلنقتسم المبلغ الذى سأحصل عليه من السير شارل .

ولم يبد التأثر على كروج الذى قال ببرود :

ــ لقد وعدنى سير شارل بنصيبى . .

ــ وعندما يجدوننى ميتا هنا ...

فقاطعه الخادم قائلا :

ــ اطمئن ... فما من احد يعرف مكانك هنا ... ولن تخرج البتة من هذا المكان ...

وانصرف تاركا أوزوالد بوت غارقا فى افكاره المفجعة : ما هو مصيره فى هذا الكهف .. ؟ انه هالك لا محالة . ولعله كان من الافضل أن يقبل ان يأكل بالرغم من رداءة الطعام الذى أعده كروج ، وحتى لا يفقد قواه بسرعة دون جدوى .

وسمع صرخات صغيرة بالقرب منه ، فانتفض ذعرا ... فقد اقبلت الفئران لزيارته ليلا ، ووزع عليها الضربات بقدمه ، ولكن الحيوانات القارضة

هزأت به ، وسخرت منه ، فأمعنت فى تحديه ، حتى انها راحت تجرى فوق جسمه ، وعضه أحدهم فى اذنه ، وحس بوت التعيس بأن اللحظة تقترب ، حيث تلتهم الحيوانات جسمه حيا !

وعبثا حاول رسم خطة للخلاص من سجنه ، وضاع جهده وهو يمط عضلاته ، ويوترها حتى يكسر القيود التى تربط كعبيه الى الجدار ، فقد تحدت عضلاته ، وقوته الجسمانية ، فلم يعد هناك أمل من المقاومة .

وصرخ طالبا النجدة ، ولكن سرعان ما تحقق أن صريخه لا يتعدى جدار كهفه ... وأحس بالضياع الحقيقى فى هذه المتاهة من قصر سورسيلو .

وانقضى يوم وليلة ... وشعر اوزوالد بوت بالجنون يغزو عقله ، فقد أتى العقاب الذى فرضه سير شارل ثمرته .

وفى صباح اليوم التالى بدا الهم على وجه سير شارل ، ، وعندما رأته ابنة أخيه حذرت أن هنالك ما يشغل باله .

وسألته وهى تشب على عنقه :

ـ ماذا ألم بك يا عمى شارل ..؟

ـ لا شىء يا ويندى ، كنت أتوقع خطابا ولكنه لم يصلنى ، ولست أدرى ..

فقاطعته متسائلة بدافع القلق الذى استولى عليها للتو :

ـ هل كنت تتوقع أخبارا عن الجنية الشريرة ..؟

ـ كلا . اطمئنى ... بل هو خطاب خاص بالعمل ... فلنتحدث عن شىء آخر .. ها انت تلبسين

« المـــايوه » منذ الصباح الباكر . اذاهبة انت الى البلاج ..؟

فقالت بهيئة القطة عندما ترى زبد اللبن :

ــ نعم .. فأنا اشعر بارتياح بين أمواج البحر ، فان حفيفها يشبه ملمس الرداء الحـــريرى . والمـــاء منعش ودافىء فى آن واحد .

ــ حذار ، فقد أخبرتنى الانســة هورتنس برغبتك فى السباحة وحدك ، فهل تكونين فى مأمن مع وجود كل تلك الشياطين فى الجوار ...

وكان يتفرس فيها بانتباه ، فضحكت بطفولة كما لو كانت تمزح وقالت :

ــ ان شياطين البحر وابالسته لا تقترب قط من الكهف ... وقد تحققت من ذلك ، بل هى تبحر فى عرض البحر ، ولو غامر أحدهـــم واقترب ، فاننى اختبىء بسرعة ، هـــذا الى اننى فى حمـــاية الشبـــكة الســـحرية .

وقال ســير شارل بصوت يدخل الرعب الى نفس تلك التى كان يربيها وينشئها بطريقة فريدة :

ــ اننى أضع ثقتى فيك يا ويندى . فقد أصبحت فتاة كبيرة الان ، وانت تعرفين قيمة العقل ، والحكمة. ولكن الشياطين ، والابالسة والسحرة ، والجنيات الشريرة ، أكثر لؤما ممـــا نظن ... وهم أقوياء ! ولا تنسى بتاتا انك ابنة ملك .

ولمح باغتباط فى نظرات ابنة أخيه بريق القلق الذى كان يعرف كيف يغذيه بمهارة وقال :

ــ تذكرى اننى قبضت على أحدهم منذ يومين . ومن المحقق أن له أخوة ، وأقرانا ، يبحثون عنـــه ، وقد يجـــازفون على غفلة ليستولوا على حبيبتى

الصغيرة ويندى .

فهزت رأسها الجميلة ، وارتدت روبها الملون ، وهزت خصلات شعرها الاشقر ، مظهرة التحدى وقالت :

ــ لن يمسونى ، فاننى أتذكر نصائحك يا عمى طيلة الوقت . كما أنه سيحزنك ان يسرقوا منــــك صغيرتك ويندى .

ولاذت بعنقه ، وطبعت قبلاتها على وجنتيه ، وقفزت صوب السلم المؤدى الى البــلاج الصــغير الخــاص بالقصر . وتابعها سير شارل ببصره وهى تختفى دون أن يفوته ارسال قبلة فىالهواء على أطراف صابعـــه واستدار الى المربية ، التى استمعت الى الحــــديث وهى صامتة ، وظهرت على وجهها المجوز ، الخبيث، علامات الرضا . وقال لها سير شارل .

ــ اهنئك على مجهودك يا هورتنس . فان هــذه الفتاة سليمة النية أكثر من الطفل .

ولم تخف العجوز اغتباطها كما لو كانت قد تلقت قطعا من السكر بين اسنانها الصفراء ، واجابت :

ــ شكرا يا سير شارل .. لقد بذلت كل جهدى .

ثم أردفت وكأنما أقلقها الجانب المـــادى :

ــ لقد كنت متأكدة دائما بأنك ستدفع لى الثمن ...

وشبكت منظارها على أنفها واتجهت الى الشرفة الضيقة حيث يمكنها مراقبة تلميذتهـــا ، وجلست على مقعد فسيح تعلوه مظلة كبيرة ، والقت نظرة عـــلى البحر حيث كانت تتهادى فى الافق سفينة ، فاطمأنت لان ويندى لن تخرج من سور الصخور الذى يحوطها، ويجعلها فى مأمن من الشياطين : وابتسمت الانسة هورتنس لهذه الخرافة التى ستتذكرهـــا دائما فى

المستقبل ، عندما تتخذ لها بيتا صغيرا فى وطنها ، سوسكس ، الانجليزية ، وهى جالسة فى صالون مؤثث طبقا لذوقها ، تقدم الشاى لصديقاتها المختارات ... وراحت تحلم بالحياة الهانئة التى تنتظرهابفضل المال الذى سيدفعه اليها السير شارل ... وهو مال وفير ... واستسلمت الانسة هورتنس لمداعبة الشمس ...

وكان سيد القصر قد تتبع المربية ببصره الجامد ، ولمعت عيناه ببريق مخيف ، وظل فى مكانه ، يبرم شاربه الابيض بحركة عصبية ، لاحظها كروج الذى دخل فى هذه اللحظة وسأله :

ــ ما الذى يشغل بالك يا سيدى .. ؟

ــ لا شىء ...

ولكنه عاد وتدبر الامر ، فمن الافضل اطلاع خادمه ، الذى لم يكن موضع شك ، على اطماع هورتنس ، فقال له :

ــ أحيانا ما تعترى هورتنس أفكار غريبة .

وتريث كروج بضع لحظات قبل أن يجيب :

ــ لا تشغل بالك . فان هورتنس ، مثلى ... فنحن معك الى النهاية . ولو سمعت هذا الهزيل بوت منذ لحظات ...

وأعاد على مسمع سيده عبارات السكرتير السابق، وعرضه عليه مقاسمته ما قد يغنمه من سيد القصر وختم حديثة قائلا :

ــ اننا نعرف ما هو نصيبنا منذ الان .

فتمتم سير شارل : لحسن الحظ .

ولكنه أحس بشعور جديد فى أعماقه . فبعد

هورتنس ، كروج .. !

فبالرغم من وفائه ، الا أنه قد يطالب بمطـــالب جديدة . فقد كانت الامور تســير ببساطة فى مجراها الطبيعى منذ خمسة عشر عاما ، أى منذ الحقهمـا بخدمته ، معد خطة للاحتفاظ بثروة أخيه ، بأن يجعل ويندى بلهاء ... واليوم وقد حل الوقت المرتقب ، فمن الانسب الحيطة حتى لا يساومه شريكاه فى جعل ابنة أخيه بلهاء ، وتبهيمها .

وقال لكروج :

ــ هيا بنا نلقى نظرة على الشيطان .

وفتح الباب المغلق بالسلاسل ، وسبق كروج فى نزول السلم ، وهب بوت عند سماعه وقع أقــدام ، وقد زاد تخاذله عن العشية ، وتمزق قميصه اربــا ، واتسخ وجهه الملتحى ، المخدوش ، كما ظهرت خدوش على يديه ، وكعبيه .. وصرخ السجين :

ــ يجب أن تفك أسرى يا سير شارل ! لا أريد أن أبقى هنا بعد الان ، لقد خدشتنى الفئران طوال الليل .. انظر . !

ومد قبضتيه الملوعتين بالجراح الحديثة ، واشار الى الدم الذى نزف من ركبته ، ولكــن مخــدومــه السابق ظل جامدا كالجليد ، وقال له ببرود :

ــ لقد رويت لى يابوت قصة غريبة : قلت انك أخطرت البعض بحضورك الى القصر ، فهل هذا صحيح .. ؟

وكان كروج قد ضغط على زر بطاريته الكهربائية، مركزا حزمة الضوء على وجه الرجل القصــــير ، المذعور ، الذى تلعثم :

ــ نعم ... لقد ...

وكان مستعدا ليعترف بأى شىء نظير خروجه من هذه المتاهة .. واخيرا قال :

ــ لقد أخطـــرت ادارة الفنـــدق ... قلت اننى سأخرج ، ولم أخطرهم بسفرى ... ولك أن تستخلص النتيجة أنت بنفسك !

ــ ليست لى هذه المقدرة على الاستنتاج .. فما هى النتيجة فى رأيك .. ؟

ــ سيجرون البحث عنى اذا لم أظهر ثانيـــة . وليس معى الا متاع ضئيل . حقيبة يد واحدة صغيرة، وذلك لا يفى لتغطية نفقات اقامتى ، ممـــا يجعلهم يخطرون الشرطة ، التى ستبدأ التحقيق .

ــ اهذا هو كل ما هنالك .. ؟

ــ ولكننى ... اظن ...

وكان السجين التعيس ، المقيد الى الصـــــــخر بسلاسل حديدية ، يلقى بنظرات خائفة الى اليمين ، والى اليسار ، فلم يكن هناك بصص امل من جانب كروج ، كما كان يعرف مدى قسوة السير شارل .

وهز راسه قائلا ــ لا أدرى ...

ــ هل قلت أنك ستزورنى فى فندق ماجستيك .. ؟

ــ كلا . فان ذلك كان ينبغى أن يبقى سرا بيننا .. اليس كذلك .. ؟

ــ اذن ... لا أحد ..؟

ــ لقد شوهدنا معا ، ونحن نستقل سيارتك .

ــ وهل تعتبر ذلك ــ بصراحة ــ أمرا جديا .. ؟

ثم ضحك بسخرية وقال :

ــ هل تظن أن هناك عاقلا يشتبه فى السير شارل كليف ، الزبون الهام ، لمجرد رؤيتنا معا ؟ أو لانك

استعلمت عن أخبارى من هذا ، أو ذاك ؟ انك أكثر سذاجة يا ولدى الصغير مما كنت أتخيل .

فصاح بوت وهو يحاول يائسا أن يبعث القلق فى نفس خصمه :

ــ كلا ..! كلا ..!

ــ لو استجوبت ... أو لو قرأت خبرا عن تلك الواقعة فى عامود الحوادث اليومية ، فسأسرع لتقديم المعلومات بنفسى الى الشرطة ــ سأقول بأننى أعرف هذا المدعو بوت ، وقد قام بزيارتى ، وطلب منى قرضا ماليا ، فلم أرفض طبعا ، ثم أوصلته الى ميناء كان ، حيث أخبرنى أنه كان على موعد مع قبطان احدى البواخر ، واظن أنه كان ينوى الهرب سرا ، ولا أدرى حقا ما كان يخفيه مثل هذا الرجل المسكين ، وقد استغنيت عن خدماته من قبل لانه كان يتدخل فى شئونى ... هذه هى أقوالى التى سأدلى بها الى الشرطة يا بوت .. !

والقى سير شارل على سجينه نظرة احتقار وقال له :

ــ فكر يابوت ... ان الوقت معى .. !

وصعد السلم دون انتباه لصريخ سكرتيره السابق. وعندما وصل الى داخل القصر التفت الى خادمه وقال له :

ــ ان الاحداث تتلاحق بسرعة نحو تحقيق الهدف . ولكن ما يقلقنى هو انقطاع أخبار دافيد .

ــ الم يكتب لك ابنك بعد يا سيدى .. ؟

ــ كلا .. ولما كان على صلة بهذا المعتوه بوت، فاننى لا أدرى ما اتفقا عليه ، وأى هدف يسعى اليه دافيد ، فهو يدعو الى اليأس حقا ...

وفى هذ ه اللحظة ظهر فى عرض البحر قارب للصيد، يحمل بحارا ، ورجلين هما سيمون وصديقه ديفارا .

ومد الاخير ذراعه مشيرا الى القصر :

ـ هذا هو قصر سورسيلو .

وقال سيمون وهو يتأمل القصر : مذهل ! انه يشبه بيت عرائس الجان .

وأخذ صاحب الفندق يضحك بطلاقة وقال :

ـ ان مواطنينا يظنون أن هـذا الرجل يمتلك أموالا طائلة .

وهز القديس رأسه دون أن يرفع بصره عن القصر ذى القباب . وتناول منظاره المقرب واخـذ يتأمل تفاصيل القصر الذى يشبه قلعة حصينة .

وقال صاحب الفندق :

ـ لقد جازف بعض الصبية ذات يوم فاقتربوا من القصر املا فى ان يتسللوا الى داخله دون أن يراهم أحد ، ولكن هذا الانجليزى الملعون قذفهم بشحنـات من البارود المفرقع ، مما ثبط من شجاعتهم .

ـ هذا دليل على أن سـير شارل يخفى شيئا فى قصره ، ولابد أن هناك غيلانا ، ومساجين .. !

ورأى سيمون خلال منظاره مساحة من الرمال فى حفرة من الجرف ، على شكل بلاج صغير ، وقـد تمددت عليها فتاة يتدلى شعرها الاشقر على كتفيها . فقال لرفيقه متعجبا :

ـ ان الحسناء فى الغابة النائمة حقيقة قائمة ! ها هى ، حية فى هذا القصر . انها هناك ... ولا تبدو نائمة ...

ــ انك تسخر منى .

ــ بل أؤكد لك ان هناك انسانة شقراء جديرة بالاسطورة ... تتطلع بسرعة وحذر ..!

ومد يده بالمنظار ، وقد راى الحسناء المجهولة تتحرك ، وتنهض لتختبىء خلف الصخرة . وكانت ويندى قد رأت القارب .

والواقع انها لاحظت ذلك القارب منذ نزولها الى الجرف ، ورأته يقترب من مكمنها ، وداخلها القلق على الفور ظنا منها أن احد الشياطين قد لمحها ، وكانت تتخيل ان عملية الابحار هى من عمل السحرة، فلم يكن بالقارب شراع ، او مداخن مثل السفن التى تمر فى الافق ، وكان يتقدم ببطء أثار قلقها ، وبعث فى نفسها صور الشياطين والابالسة الذين تعيش فى عالمهم . ولكنها لم تلجأ الى مخبأ القصر فورا ، بل تمددت على حصيرة ، واسندت راسها الى ذراعها ، وراحت تراقب حركات القارب الغامض . ولم تدر سببا لدوافعها ، وأحست برغبة شديدة فى الاقتراب من أى مخلوق ، وتساءلت عما اذا كانت تلك الرغبة قد بعثت بتأثير الشياطين الذين يستقلون ذلك القارب السحرى .

ولكنها عادت فخطأت نفسها وقررت فجأة أن تطيع نصائح عمها ، فنهضت بقفزة واحدة ، واختبأت خلف صخرة فى نفس اللحظة التى تناول فيها ديفار المنظار المقرب من أيدى سيمون ليرى عروس البحر ... فصاح :

ــ يا للشيطان ، لقد اختفت .

والتفت سيمون الى البحار وقال له :

ــ دعنا نقترب من الشاطىء .

فأجابه البحار : ولكــن هــذا الانجليزى رجــل فظ ، ولن يتوانى عن اطلاق النار علينا .

ــ اقترب ...

وزاد البحار من سرعة المحرك قسرا عنه ، ووقف سيمون فى المقدمة يتطلع الى قصر سورسيلو ، واضعا يديه فى وسطه ، كما لو كان يتحدى المجهول ، بينما كان صديقه ديفار يتأمله باعجاب ، فهو لا يجسر على القاء نفسه فى مثل هذ المغــــامرة ، وكان يدرك ان القديس لا يتراجع امام اى خطر فى سبيل اكتشـــاف السر .

وعاد سيمون يقول : اقترب اكثر ...

ولكن البحار اوقف المحرك وقال :

ــ مستحيل ... فسوف يتحطم القارب على تلك الصخور ، ثم ...

فسأله صاحب الفندق :

ــ ماذا دهاك .. ؟

ــ انك تعلم يا مسيو روبير ان قصر سورسيلو ليس بمكان آمن ... وها انت تقول ان هنـــاك فتـــاة تلعب دور الجنية ... فليس هذا المكان صالحـــا للعبـــور ...

ــ لقد اصبحت موسوسا الان .!

وقال تمبلار :

ــ لا تشغل بالك من أجلى يا روبير .. فان بى رغبة لان أسبح . وسنتقابل بعد ساعة .

ــ لا ترتكب حماقة يا قديس .. !

ولم يجب سيمون ، بل وضع قدميه فى مسحوق من

البلاستيك ، ووضع قناع الغوص على وجهه ، وثبت انبوبة التنفس ، وسأله ديفار بقلق :

ـ وما عساى افعل خلال ذلك الوقت .. ؟

ـ انطلق بعيدا بالقارب .. فتلك أفضل وسيلة لطمأنة سكان القصر . وقد رأينا الحسناء ، فمن يدرينا أن الوحش ليس مختبئا هناك ! فان اللقاء بعد ساعة .

ونزل الى الماء .

الفصل التاسع

تلبدت الفتاة فى أحضان الصخر بشكل لا يمكن اى شيطان أو مارد بحرى من مفاجأتها ، وكانت تختلس النظر من آن لاخر حولها ، لتراقب سير الزورق الغامض الذى يستقله الشياطين . ورأت انه أخذ يبتعد بعد اقترابه من مكمنها ، ضاربا فى عرض البحر .

وتنفست ويندى الصعداء ، فقد انقذت ، ونجت مرة اخرى من تلك الافكار التى دأب عمها ، وهورتنس ، وكروج على التحدث اليها عنها ، وتصوير القوارب والطائرات فى نظر الفتاة على أنها من عمل الشيطان ، بل ان أى حركة ميكانيكية هى من روح الابالسة الذين قرأت عنهم الكثير .

ونهضت برفق ، وتابعت ببصرها القارب الذى أخذ يبتعد فى الافق ، وهو يشق زبد البحر مثلما تفعل الوحوش الضارية .

وما دام الخطر قد ابتعد ، فقد اصبح فى استطاعة ويندى الان أن تستمتع بالسباحة ... وتمارس

حريتها بعد ن نجت من السجن . فبالرغم من فخامة القصر ، وابهة الحياة بداخله الا أنه كان معزولا عن الخارج ، وكانت ويندى تتشوق دائما الى رفيق آخر غير عمها الذى كرس حياته للعراك ضد الجنيات الشريرة ، والسحرة ، ومربيتها المخرفة ، والخادم المخبول الذى كان هو ايضا ضحية السحر ، وكم ودت أن تسبح ، وتتسلى مع فتيات أخريات من عمرها .!

ونسيت ويندى عزلتها وهى تسبح بين الموجات القصيرة التى كانت تتلاشى برفق على البلاج ، متجنبة اجتياز المكان الذى يحميها من عرض البحر ، وأتمت دورتين أو ثلاثا فى الحيز الضيق الذى حددد لها ، وراحت تتسلى بالسباحة على ظهرها ، والقفز ، والغوص ، واحست فجأة بوجود شخص بالقرب منها :

ــ رجل واقف على البلاج !

او هكذا يلوح !

فكيف اجتاز الشبكة السحرية ..؟ لابد أنه كان يتمتع بقوة شديدة . ! ولكن أهو روح طيبة ، أم شيطان مريب ..؟ كان نصفه الاعلى عاريا ، برونزى اللون ، وبدا لها جميل الوجه ، منذ اللحظة الاولى ، ولعله من حرازين البحر الذين ينبعثون من قاعه .! واستولى الخوف على ويندى ، فقد أرعبها هذا الحرزون .. ورأته يتقدم ويجلس على صخرة ... ويناديها قائلا :

ــ ويندى ... لا تخافى ، واقتربى منى

ــ فكيف عرف اسمها ..؟ لعله من الارواح الطيبة التى هبطت لانقاذها ! وكان شديد الجاذبية ! وظلت

واقفة فى مكانها ، تتأمل الزائر الغامض الذى انبعث من أعماق البحر !

ولم يكن هناك مكان آخر اتى منه الا البحر ، فهو اذن رسول القوى السحرية : ولكنه ... اجتاز الشبكة السحرية دون عناء ، فهل يكون هو الشاب الجميل الذى جاء ذكره فى الاساطير .. ؟

وتزاحمت الاسئلة فى ذهن الفتاة التى ربيت بطريقة تقترب من الجنون الهادىء ، فتخلف عمرها العقلى، ولم يتجاوز تفكيرها الطفولة بدافع الطمع الذى استولى على عمها للاستيلاء على ميراثها ... فكانت لا تعى شيئا غير قصص الجان .

ولذلك ترددت وهى تتفرس فى القديس الذى ظهر فجأة فى عالمها : فلم تكن له سحنة الشياطين ... لم تكن له قرون على جبينه ، ولم تكن أظافره طويلة بشعة ، كما كانت نظراته تعبر عن الدعة ، والظرف. ولم تقو ويندى على مقاومة مغناطيسية عينيه الجذابتين . واقتربت من الشاطىء ، فأشرق سيمون بابتسامة جذابة ، وسألها :

ـ هل أخيفك .. ؟

ـ قليلا ... فانك لا تبدو شيطانا ...

فقهقه ضاحكا وقال :

ـ يا للخسارة ! هل من الضرورى أن ينتمى الانسان الى مملكة الشياطين ليكون عضوا فى ناديك للسباحة .. ؟

فقالت بانفعال :

ـ لا تهزأ ، والا جلبت الشر ، فالعفاريت تسمع كلامنا ، وباستطاعتهم أسرنا ... انا وانت .

وكانت قد خرجت من المياه ، وزاد اقترابها منـــه ، رغم ما يخالجها من خوف . وكان قد ادرك من حديث « بوت » ان الفتاة قد تلقت تربية شاذة ... وتساءل فى نفسه عما اذا كان عمهـــا قـــد سجنهـــا فى القصر لجنونها ؟ كانت نظـــرات ويندى تجيب بالنفى ، وتفكيرها بالايجاب ، مما يحمل على الاعتقد بأن السير شارل كان على حق فى سجنه للفتاة داخل القصر ، وان نصرفه كان سليما .

وكانت ويندى تتساءل فى نفس الوقت عما اذا كان هذا المخلوق شيطانا أم أميرا ؟ وسألته :

ــ هل انت حرذون ..؟

وكانت نظرات الفتاة الغريبة تتركز على قدميـــــه فأجاب :

ــ هل تظنيننى حرذونا لاننى احمــــــل على قدمى جهازا للسباحة : انظرى .

وضم ساقيه ليظهر لهـــا الجهاز الذى يحمله ، ولكن ويندى كانت تجد صـــــــعوبة فى التخلص من عالم الخرافات الذى عاشت فيه أعواما طويلة فعـــــادت تقول :

ــ لقد تلوا عليك هذه التعويذة حتى تتمكن ساقاك من السباحة . ؟

وهز القديس منكبيه استخفافا وقال :

ــ هل تزعمين انك لم تشاهدى من قبـــل صـــيادا غواصا .. ؟

ونزع الجهاز عن قدميه ، وبدا الذهول فى عينى ويندى الشقراوين ، وراحت تتأمل فى المخلوق العجيب الذى انبعث من أعماق الميـــاه ، وجلس بهـــدوء على

الصخرة ، بعد أن استطاع التخلص من ذلك الجهاز..
وكان جميلا ، يطابق أوصاف الشاب الجميل ، الذى ورد ذكره فى الاقاصيص ، فتمتمت :

ــ الست اذن منضحايا السحر .. ؟

ــ نعم ! اننى ضحية ...

وابتسمت لصواب رأيها وقالت : كنت متأكدة .

ــ اننى مسحور بك ...

فقطبت الفتاة وجهها عابسة ، وعبرت عيناها عن الاستياء ، وهزت كتفيها قائلة :

ــ لا تسخر منى ! فأنا أميرة وانت تعرف ذلك جيدا . أميرة مسحورة .

وحدث القديس نفسه بأنه مادامت هذه الحسناء الفاتنة تصر على دورها الغريب ، فليجارها فى هذا المضمار الجديد بالنسبة له ، وليتظاهر بتصديقها ، فقال :

ــ حسنا ! والواقع أنك تجمعين كل صفات الاميرة ، من جمال ، وكياسة ، واغراء . ولكننى اتساءل اذا كنت مسحورة حقا ، فكيف تمكنت أنا من الوصول اليك !

ثم ضحك بصفاء وقال :

ــ اننى أعرف مدى قوتى ، وكنت اجهل أنها تمتد الى هذا الحد.

وتأملها ولاحظ عليها تشعب الفكر ، وبدت عليها مظاهر الطفولة والسذاجة ، فأضاف :

ــ انك تبدين كطفلة صغيرة !

وانفعلت ويندى هذه المرة ، فقطبت حاجبيها ، وتقلصت قبضتاها ، كما لو كانت ستهوى بضرباتها على صدر هذا المخلوق البحرى ، وقالت :

ـ كلا .. كلا .. لست طفلة ، بل أنا فتـــاة كبيرة ، وسأبلغ الواحد والعشرين عاما بعـــــد بضعة أيام .

فقال سيمون بصوت محايد :

ـ آه ! واحد وعشرون عاما .. ؟

ـ نعم ، وهو سن الرشد .

فابتسم لهـا بحنان ، وهدأ من غضبها قائلا :

ـ حسنا ، فأنت فتاة كبيرة ... ولم ازعم قط بأنك طفلة يا ويندى .. هل تقطنين اعماق المياه ..؟

وكأنما اراد أن يقتحم مملكة الجان التى تنتقـل داخلها بيسر وسهولة :

وقهقهت بضحكة المفتونة ، واجابت :

ـ كلا ! بل اعيش هنا ، فى قصر سورسيلو ، مع عمى ... وهو ملك .. وكان ابى كذلك ايضا .

ـ ملك ! مستحيل !

ـ نعم ! فالملوك هم وحدهم الذين يتعـاركون مع الجنيات الشريرة ، والشياطين ، ويتولى عمى حمايتى من « كارابوس » الشريرة . فهو يملك قوة عـلى السحر استمدها من مارلان ، ولولا ذلك لمـا استطاع الوقوف فى وجه الجان بالرغم من كل شجاعته .

واعاد سيمون عباراتها وهو أشد اغتباطا بتحـول الحديث :

ـ حقا !

وادرك انه أحسن صنعا عندما تعقب شارل كليف وخصمه الفضولى ، الامر الذى ساقه الى هـــذه المغامرة التى تنطوى على عملية نصب كبيرة ، وهى العملية التى تستجيب لها رغبات القديس !

وسرح بعيدا لحظة ، مهملا الفتاة ، فوضعت يدها الصغيرة على ذراعه تهزه ، قائلة :

ــ وأنت ... من تكون .. ؟

ــ اننى أدعى سيمون .

ــ لعلك سيمون الاول .. ولا بد انك امير ، ولا يمكن ان اخدع فى رأيى . وهذا شأن كل الامراء الذين ينقذون الاميرات المسحورات ، مثلى .

ــ حسنا ... فما الذى ينبغى ان افعله كأمير .. ؟

فضربت كفا بكف وقالت بحماس :

ــ كنت أعرف ذلك ! حسنا يا صاحب السمو ! يجب أن تساعد عمى الملك لانقاذى من كارابوس الشريرة . ولعلك تستطيع قتلها .. ؟

وكان صوتا مملوءا بالامل ، واجاب القديس بصوت عادى خال من السخرية ، ارضى الفتاة :

ــ ولماذا لا ..؟ ولكن ماذا فعلت بك مما يجعلها تستحق الموت جزاء لها .. ؟

ــ حاولت مرارا أن تبدل خلقتى الى ضفدعة جبلية بشعة ، ولولا عمى الملك ، لنفذت رغبتها . وقد استطاعت فعلا سجنى هنا ، فى سورسيلو .

ــ كيف سجنتك .. ؟

ــ أقامت حاجزا من السحر ، لا استطيع تخطيه . انظر .

وامسكت بقطعة من الحجر ، وقذفت بها بكل قوتها الى البحر ، فقفزت بعد مسها وجه الماء ثم اختفت وسط فقاقيع الماء . وقالت :

ــ هكذا ! هذه هى المسافة التى يسمح بها الى ، ولو تعديت هذا الحاجز ، فسأتحول بين لحظة واخرى الى ضفدعة .

وتأملها وهى تتكلم بلهجة أكيدة لا تدع مجالا للشك. فقد كانت ويندى ضحية حقا لقذر ، ولكنه ليس ذلك الذى تتخيله ، اذ لا شك فى أن البعض ــ وربما يكون « عمها الملك » ــ قد تمكن من اقناعها بحالتها الغريبة .

وسألها : وكيف نزيل هذا السحر .. ؟

واحمر وجهها ، وهى راكعة أمامه ، وخفضت مقلتيها تخفى نظرة بريئة ، معبرة عن الحياء وسلامة الطوية ، ومالت هامسة :

ــ اجمعت كل الكتب التى قراتها ، والقصص التى رويت لى على أن الاميرة المسحورة تنتظر ــ دون علم منها غالبا ــ زيارة الامير الجميل . ويتقدم هذا الاخير ، ويكتشفها ، واحيانا ما تكون نائمة كالوردة فى أدغال الشجيرات ، فتعود الى الحياة ... ويفك عنها السحر .

وتأملها بانفعال عميق للثقة الكبيرة التى تضعها فيه ! انه لم يصادف كل حياة المغامرات التى عاشها مثل هذا الموقف . وقد واجه مواقف عاطفية كثيرة اعترفت له خلالها بنات حواء بحبهن ، وعاطفتهن ، ولكنه يواجه الان ، أمام ويندى ، عاطفة أخرى : عاطفة مخلوقة صغيرة ترتمى بين ذراعيه ، ملقية بقدرها بين يديه .

وفى مواجهة هذه الفتاة التى أدركت سن الرشد وما زالت محتفظة بروح الطفولة ، شعر سيمون برغبة مجهولة تغزو نفسه ، هى : حمايتها ، وانقاذها من تلك الحياة التى أخذت تلوح لويندى من يوم الى آخر بأنها تختلف عن الحياة التى تتخيلها . وابتسم

لها بعذوبة وقال :
ــ ربما . ولكن ساعة اليقظة لم تدق بعــــد . ويجب أن أعود الى مملكتى ...
وعبرت نظرات ويندى الجميلة عن القلق والحزن، فتناول يدها الصغيرة وشد عليها قائلا :
ــ لا تحزنى يا ويندى ، فسأعود .
فسألته بلهفة ، وأمل : متى .. ؟
ــ غدا يا ويندى . غدا فى الصباح ، ولكن فى ساعة مبكرة عن اليوم .
وشد جهاز السباحة الى قدميه ، ونزل الى المـــاء ثم التفت اليها قبل أن يغوص قائلا :
ــ حذار يا ويندى ! لا تفوهى بكلمة لاحد ، حتى ولو كان الملك ، عمك ، انك لم ترينى ... والا ...
وتردد قليلا ، ثم قرر فى نفسه على أن يدق على نفس الوتر الذى أختاره الخصم ، فقال :
ــ ... والا قام حاجز من السحر ، ومنعنى من العودة .

الفصـــل العـــاشر

بدات شكوك السير شارل تقلق باله ، وتبلبـــل افكـــاره . فبالرغم من انه اسر بوت ، واحتجـــزه فى غياهب قصره ، الا أن انقطاع أخبار ابنه دافيد بدا يقلقه ، ويزيـــد من بلبلته ، فان هـــذا الشاب الطائش يوشك أن يفســـد الخطة بعد أن أوشكت على النجاح .
كما أن سلوك أبنة أخيه ، وشواهدها الاخـــيرة تسبب له القلق ، وتشـــغل باله . وكان جالســـا فى الشرفة يتطلع الى الافق عندما تسللت المربية فى

صمت ووقفت بجانبه ، وقال سير شـــارل دون أن يلتفت اليها :

ـ لا احب ان اراها هكذا ، بدون رقابة .

ـ يحسن الا تطلق لها العنان يا سير شـــارل ، فهى دائبة التفكير فى هذه الآونة ، فهى ليست مجنونة بالرغم من المنهاج الذى لقنته لها .

ـ لقد ساهمت فى هذا البرنامج يا هورتنس .

ـ صدقنى انه ليس بكاف .!

وبقى الرجل ذو الشارب الابيض جامدا ، يراقب زورقا يغدو ويجىء فى عرض البحر ، وهو يشـعـر بالقلق لذلك . وهزت المربية راسهـــا واستأنفت الحـــديث .

ـ أؤكد لك ان عصر قصور الرمال قد انقضى ، واتسعت مدارك ويندى .

ـ كفى يا هورتنس .

ـ حسنا يا سير شارل ... الا فاعلم اذن ان ويندى تنتظر بفارغ صبر قدوم الامير الفاتن .

فزمجر : لاى غرض .. ؟

ـ لينقذها ! اليس هـــذا هو ما ذكرته قصص الجـــان .. ؟

فقال بسخرية : اننى هنا ! سأتصدى لكارابوس واعاركها .

ـ ولكنك لم تنقذها بعد . وهذا هو دور الامراء الفاتنين .

فراح يذرع الشرفة ، ثم قال بغلظة :

ـ لقد اخطأنا فى تركها تسبح بدون رقابة ... الا تستطيعين رؤيتها من هنا .. ؟

ـ انك تعلم ذلك ، كما تعلم أيضا انها لا تجسر على العصيان .

وانحنى محاولا تبين البلاج الصغير ، ولكن نتوءات الجرف كانت تحول دون رؤية البحر عنـــد سفح القصر .

وضحكت الانسة هورتنس بصوت خافت وقالت تذكره :

ـ لن تغامر ويندى قط بتعدى الصـــخور الواقعة تحت وجه البحر ، وهذه تحول دون اقتراب الزوارق .

ـ ربما ... ولكن هناك زورقا يبدو أنه مغامر .

واشـــار بسيجاره الى الزورق الذى كان يقترب ببطء من سورسيلو ، ولم يكن سير شارل ليشك فى أن ركابه يهتمون بما يدور عنده ، ولكن اقترابهـــم كان يسبب له القلق ، والريبة . ولابد أنهم من جماعات الصيادين ، ولكنهم أكثر جراة من غيرهم .

وطرقع أصابعه بعصبية ، وتذكر اقتحـــام بوت لغرفته فى فندق ماجستيك ، واكتشاف شريك له فى الشرفة ، والعراك الذى أعقب ذلك ، وغير ذلك من الظواهر التى تدعو الى الشك ، والحذر .. وختم حديثه قائلا :

ـ سأنزل الى البلاج .. ويجب أن ألقى نظـــرة على ويندى .

فقالت المربية توصيه :

ـ افعل ذلك دون اثارة شكوكها .

ـ طبعا ... وسأتبع طريقتك .

واتجه الى السلم ، ونزل درجـــاته المؤدية الى الجرف ، بحذر حتى لا يحدث صـــوتا بأقدامه يلفت نظر ويندى الى أقترابه ، ووصل الى البلاج ، ووقف

جامدا : وكانت ويندى مختفية خلف صخرة ، جامدة الحركة ، غير ملتفتة لقدومه ، وامتد بصرهـــا يراقب الزورق الذى اقترب من الصخور ، وشعرت بذعر عندما ظهر هذا القارب السحرى ، بعد أن غاص الامير سيمون تحت المـــاء . ودفعها الخوف الى الاختفاء كما فعلت فى المرة الاولى عندما ظهر هذا الجســـم الميكانيكى الغريب . وصاح بها السير شارل :

ــ حسنا يا ويندى .

فرجفت بشـــدة ، وارتعد كل جسمها ، وصـــدرت عنها صرخة ضعيفة ، واستدارت لترى عمها واقفا على قيد خطوات منها ، وتمتمت :

ــ لقد أخفتنى .. !

ــ لا داعى للخوف يا ويندى . فعندما رأيت ذلك الزورق الغامض من الشرفة ، سارعت لحمايتك اذا اقتضى الامر . وقد ارابك اقتراب القارب لحســـن الحظ ... وقد أحسنت صنعا .

ــ انـــك تعلم تماما اننى لا أنسى وصاياك مطلقـــا يا عمى شارل .

ــ تذكرى أن كارابوس تبـــذل المســـتحيل فى هذه الاونة ، فهى تعلم أنه لم يبق على بلوغك سن الرشد الا بضعة أيام ، ولذلك تعمل على احتجـــازك بأى ثمن ... وسيوافق بعد غد عيد ميلادك ، فاحـــذرى يا ويندى .

واعترتها الدهشة ، فلم تكن تتخيل ان الوقت يقترب بهذه السرعة . وخطر لهـــا أن تروى مغامرة الصباح العجيبة ! عندما انبعث الامير من المياه ، عارضـــا عليها حمايته . ولكنها تذكرت وصيته الاخيرة ، ألم يقل

لها ان اقل بادرة ، او اى كلمة ستؤدى الى تجميده ، ومنعه من العودة اليها . ولاذت ويندى بالصمت .. وقال عمها :

ــ فلنصعد .

وتأكد من ان الفتاة لم تترك شيئا خلفها ، وراقبها ببصره وهى تصعد السلم الضيق ، واطاعته هى بخضوع ، وشعر هو باطمئنان ، وزالت عنه شكوكه ، ولكنه قرر مضاعفة الرقابة ، والحيطة .

وكان الزورق قد التقط فى هذه اللحظات ، الامير سيمون ، بطريقة بارعة خفيت عن الانظار ، حتى ولو كان هناك من يتطلع بمنظار مقرب . وامر ديفار البحار بأن يعود الى الفندق بسرعة ، فقال سيمون مصححا :

ــ لا داعى لزيادة السرعة ، حتى لا نلفت الانظار ، فنحن من صيادى السمك ، ولا شىء يلح علينا .

وجلس سيمون واسرع ديفار يسأله :

ــ هل قابلت عروس البحر ..؟ وهل كانت تساوى كل هذا الجهد .. ؟

ــ أهم من ذلك أن هذا القصر يتضمن مآسى بين جدرانه . ولابد من الاحاطة بها .

فبرقت عينا صديقه وهو يسأله :

ــ من ..؟ نحن ..؟

ــ نعم ..

واخذ يقص ملخصا لحديثه الغريب مع ويندى وختم بقوله :

ــ لقد بت مقتنعا بأن هذه الفتاة ليست مجنونة ، أو بعقلها خبل . فهى مالكة لكل حواسها ، ولكنها ربيت وفقا لمنهاج شاذ ، قلب الأوضاع الحقيقية فى نظرها . فباتت تعتقد أن العالم الحقيقى هو عالم

الجان . .

وهز ديفار راسه وقال :

ــ هذا معناه انهم تركوها سجينة فى أسوار طفولتها .

ــ تماما ، مثل بعض الورثة الذين يدفعون أقاربهم الى المعيشة فى اقفاص الكلاب ، أو يحرمونهم من الطعام .. شىء من هذا القبيل .

ــ وأنا واثق من ان القديس ..

ولم يكمل عبارته ، فقد أجاب سيمون بابتسامة ، تعبر عن وعده بالمغامرة . وصاح روبير :

ــ أحسنت ! لقد كنت واثقا يا قديس .

وهز الاخير راسه ، وقال ديفار :

ــ لقد وعدتنى بان اساهم ...

ــ ليس تماما .. قلت ان علينا أن نكافح .. ولكن يجب أن انفرد فى الهجوم الاول . أما انت يا روبير فان دورك يجىء فى المرحلة الثانية .

ــ هذا لا يروق لى بتاتا . فانا اعرف مقدار مغامرتك ، وانت لا تطلب المساعدة الا عندما ينتهى الامر ، ولا يصبح هناك اى دور . وماذا يحدث لو جاء نداؤك متأخرا ..؟

ــ اطمئن يا روبير .. وسأعود الى هناك غدا ، وحدى .

وظهر عليها الحزم بطريقة لا تدع مجالا للمناقشة .

وفى اليوم التالى تلاحقت الاحداث فى قصر سورسيلو . فاستيقظت ويندى مبتهجة ، واعبر وجهها الفاتن عن الغبطة والسرور ، مثل الطفلة عند تلقيها هدايا عيد الميلاد المجيد .. وقالت تخاطب هورتنس :

ــ ماذا حدث ..؟

وخيل الى ويندى أن هــذه العجوز هى كارابوس نفسها !

وتخلصت من خوفها وقالت بصوت مرتفع :

ـ انك تعرفين يا آنسة أن غدا هو عيد ميلادى . وقد أبلغنى عمى شارل بذلك .

ـ قلت لك من قبل أن هذا لن يغير كثيرا من سير الامور .

ـ ربما .. ولكننى اظن ان الامر يختلف .

فهزت الآنسة هورتنس راسها ، والقت عليها نظرة مريبة وقالت لها :

ـ ولكنك لست فى السادسة من عمرك !

وأجابت الفتاة محتجة :

ـ كيف تجسرين على مثل هذا القول فى حين اننى سأبلغ الواحدة والعشرين غدا .!

ـ حسنا .. وما الذى تنوين فعله فى هــذا اليوم التذكارى ..؟

والواقع أن أساريرها كانت متهللة ، فقد تغير كــل شىء فيها منذ العشية : منذ اللحظة التى رأت فيهــا الامير سيمون على البلاج السرى لقصر سورسيلو . ومنذ تلك الدقيقة اتخذت الحياة فى نظرها لونا مختلفا . فقد اكتشفت بالقرب من هذا الامير الفاتن شعورا مجهولا فى نفسها . ولعلهــا كانت تشــعر بشىء من الخجل فى أعماقها ، فهى عارفة بالجميل لعمها شارل، ولكن الواقع أن الامير سيمون كان يمثل ، فى نظــر الفتاة الطاهرة ، قوة لم تعهدها فى أى شخص من قبل .

وبينما كانت المربية تدور حولها ، كانت ويندى تفكر

فى انها سترى ، بعد ساعة ــ على الاكثر ــ الامير المجهول ، الذى سيخرج من بين الامواج لينقذها ، ويحرز النصر . وكانت متأكدة من ذلك ، وما من سبب منطقى يدعوها الى الاخلال بتلك الثقة .. فسينتصر الامير سيمون حيث فشل الجميل قبل ذلك . سيقهر الجنيات الشريرات ، والسحرة ، والشياطين ..!

وتأهبت ويندى للسباحة اليومية .

وفى نفس هذه اللحظة ، كان سير شارل جالسا فى مكتبه وقد انتهبه القلق ، بعد أن حمل اليه كروج البريد ، الذى كان يحتوى على بعض نشرات ، وخطاب من احد البنوك البريطانية ، ثم خطاب عليه خاتم فرنسا . واسرع بفض المظروف ، واخذ يقرؤه متلهفا ، وكانت اساريره تنقبض كلما تقدم فى قراءته ، ورفع بصره الى كروج ، فسأله الاخير :

ــ اهو .. اهو من مستر دافيد ..؟

ــ نعم .. ولا .

ــ هل سيصل قريبا .

ــ كلا .

ولاح الذهول على الخادم ــ السائق وسأل بلهفة :

ــ كان بوت اذن على حق ..!

فقال سير شارل بتوتر :

ــ لا أظن .. ولكن من المحقق أن ابنى ارتكب حماقة ، فهو فى المستشفى .

وفقد سير شارل السيطرة على اعصابه لحظة قصيرة ، واخذ يسب ويلعن بلهجة سوقية ، ولكنه ما لبث أن تمالك أعصابه ، وهز منكبيه قائلا :

ــ لقد كتب الطبيب يخبرنى بأن دافيد لم يتمكن من اعطاء عنوانى الا بالامس ، فقد اصيب بحادث بليغ

فى الطريق ، عندما كان قادما الى هنا . والمهـم انه سيظل مجمدا فى المستشفى لاكثر من شـهر ـ وربما لشـهرين ..!

وتدلت شفاه كروج الغليظة كاشفة عن جانبـه البهيمى ، وجلجل كالحيوانات :

ــ ألا يمكن الانتظار ..؟

فأجاب سيده بعبارة مقتضبة : ــ مستحيل ..!

وظل كروج جامدا ، عاجزا عن ايجاد حل .. ولاحت فى مخه الثقيل فكرة ، فضحك بصوت خافت وقال :

ــ هناك ابنى جيرالد ..

فقال سير شارل بصوت كأنه صفعة على وجـه شريكه فى التآمر :

ــ يا للغباء ..! ان ابنك نزيل السجن لمدة ثلاثة شهور . ولابد من تسوية الامور بين اليوم والغد .. يجب أن تتزوج ويندى قبل بلوغ سـن الرشد اذا أردنا الا يفلت كل شىء من ايدينا .! دعنى افكر .

ــ حسنا يا سيدى .

وانسحب الخادم على اطراف أصابعه . ولكنه توقف فى اللحظة التى هم فيها باجتيـاز الباب ، وبدت منه اشارة خرقاء بيده فسأله سير شارل :

ماذا حدث ..؟

ــ لقد نزلت مس ويندى الى البلاج .

ــ لا أهمية لذلك ! فقد راقبتها أمس ، ولن ترتكب اى حماقة ، وأنا واثق من ذلك .

وكم كان الذهول يعترى سير شارل لو انه راى المشـهد الذى كان يدور فى هـذه اللحظـة على بلاج سورسيلو الضيق . فلم تلبث ويندى فى مخبئها المفضل

كثيرا حتى سمعت الامواج تتضارب بصوت ضعيف على الرمال ، وخرج منها بتؤدة المخلوق المنشود .

وكان سيمون قد بدأ رحلته عند الفجر ، وقاد القارب الى مكان أمين قريب من القصر ، ولم يصطحب معه ديفار أو البحار . وكان المكان قفرا كما كان يشتهى، كما كان بمأمن من العيون المترقبة فى قصر سوزسيلو ، فهو المكان المثالى للعملية المدبرة .

وثبت جهاز السباحة ، ووضع قناعه ، وانبوبة التنفس ، ثم غاص فى البحر ، متجها الى بلاج ويندى تلبية لوعده . ولاجتياز المائة متر الاخيرة ، اقترب من الجرف بقدر استطاعته بحيث تستحيل رؤيته من النوافذ ، وعندما انتهت المرحلة واقترب من البلاج أثار بعض الموجات ، وخرج من بينها ، وكان تجليا عجيبا بالنسبة لويندى ، بالرغم من علمها السابق بقدومه .

وقالت بصوت خافت ، تخاطب نفسها : ـ مولاى الامير ..

وتقدم صوب الشاطىء ، وخلع قناعه ، وتساقطت نقط الماء من وجهه ، ولمع شعر رأسه الاسود ، وبرقت عيناه . وتطلعت اليه الفتاة باعجاب ، مفتونة بعضلاته، وقوته وهمست :

ـ لقد حضرت ...

ـ الم أعدك بذلك يا فتاتى الصغيرة ..؟

وبالرغم من حنان الصوت ، ودفء النداء ، فقد تقلص وجه ويندى قليلا ، وأدرك سيمون السبب فسارع الى تصحيح ما قاله :

ـ كلا يا ويندى .. اننى أعرف انك فتاة كبيرة ..

وزال عنها عبوسها وقالت :

ــ سيان لدى .. فكل ما يصدر عنك يا سمو الامير هو لسعادتى . وكم كنت سعيدة هذا الصباح وأنا اتوقع لقاءك ! وكنت أشعر بالقلق خيفة ألا تعود !

ــ اننى أبذل جهدى للمحافظة دائما على كلمتى ..

وجلس بالقرب من الفتاة ، وداعب بيده خصلة الشعر الاشقر الجميلة التى كانت تتدلى على كتفى ويندى وسألها :

ــ يجب أن تقصى على كل شىء منذ البداية ... حدثينى عن أبيك ..؟

ــ كان ملكا فى « كارنووى » ، وهو سليل الملك « إرثور » . واقبلت ذات يوم جنية شريرة وبدأت تثير المتاعب فى المملكة ، فانتشرت فى كل مكان الحرائق ، وحوادث السلب والنهب ، وحل البؤس بالناس ، وانتشرت المجاعة ، واضطر الملك ، أبى ، أن يطرد الجنية ، ويقصيها عن المملكة ..

وتوقفت لحظة وقالت بضحكة طفولية : ــ اننى اسميها كارابوس .

واستمع سيمون للقصة بالاهتمام المناسب ، وقال معلقا :

ــ ولم تعد كارابوس تفكر بعد نفيها الا فى الانتقام .

ــ طبعا . ولو عرف أبى بسلطان كارابوس ، لتصرف بطريقة أخرى ، ولكنها .. للاسف قتلته مع امى ، ولم تكتف بقطع رقبتيهما ، بل مسختهما الى صخور .. صخور كبيرة رأيتها قائمة وسط الضيعة عندما كنت صغيرة جدا .

وكانت تروى قصتها الخيالية بكل هدوء ، كما لو كانت تروى أحداثا ، عادية ، مما يقع فى الحياة

اليومية .. واستأنفت حديثها .

ــ ارادت كارابوس ان تحولنى الى ضفدعة جبلية، ولكن عمى كان يقظا لحسن الحظ . فانقذنى فى الوقت المناسب مع هورتنس ، مربيتى ، وخبأنى هنا ، فى مأمن ..

ــ منذ وقت طويل ..؟

ــ منذ خمسة عشر عاما تقريبا .

ــ ومنذ ذلك الوقت لم تتمكن كارابوس من الوصول اليك ..؟ فليس القصر منيعا على جنية تملك الوسائل السحرية ..!

فقهقهت بالضحك قائلة :

ــ ان عمى شارل يعرف بنفسه كثيرا من فنون السحر بفضل الساحر مارلان . فأقام دائرة سحرية مبطنة بشبكة حول القصر . واشترط على الا اتعداها ، وبذلك فاننى بمأمن .

ــ نعم .. نعم .. اعتقد ذلك .

وتأملته الفتاة ، وزاد اعجابها بأميرها واستأنفت الحديث :

ــ اننى اتوق للخروج ، والذهاب الى الارض الكبيرة والتنزه مع فتيات كبيرات أخريات . ولو اننى غامرت بذلك لاستولى على الشياطين . وقد حاولوا الاقتراب منى عدة مرات ، والدخول الى قصر سورسيلو . وكان عمى شارل يقف دائما بينى وبينهم، فيعاركهم ، اذ أنه لا يخاف شيئا ، بل هو شجاع ، ذكى ، طيب القلب ..!

ثم رددت بصوت خافت :

ــ حقا انه لا يخاف شيئا .. مثلك تماما .

وكان صوتها ينم عن التقدير . واحس سيمون

بجاذبية ازاء مثل هذه الثقة . ولم تكن تلك هى المرة الاولى ، ولكن شعورا جديدا داخله وهو يواجه ويندى ، المراة الطفلة ، واقسم ان ينتزعها من هذا المصير ، وان يعيد اليها الوعى بهدايتها الى الحياة الحقيقية ، منقذا اياها من مؤامرات «عمها الطبيب» .

وسألها : ـ وهل ستصبحين رشيدة ..

غدا ! ولا ادرى معنى ذلك تماما . ولكن مربيتى تتحدث عن نوع من الامراض . وقرات فى أحد الكتب ان بلوغ الرشد هو تاريخ هام ، تتغير فيه الحياة .. كما يبدو . ولا يعرف الحقيقة الا الشياطين التى تعسعس حولنا ، فهم يلمون بكل شىء ، اليس كذلك ! وقد جازف احدهم فاقترب من هنا ، وتمكن العم شارل من اعتقاله وسجنه .

ـ حقا ..؟

وتذكر الحديث الذى استمع اليه عندما كان فى شرفة فندق الماجستيك ، وتهديدات السكرتير السابق ، ومساومته ، والطريقة التى قابله بها السير شارل . ولم يكن بحاجة الى مزيد من الشرح والتفاصيل ليدرك ما فعله سير شارل : لقد أدرك أن الاخير استدرج الرجل المساوم ، ووضعه تحت رحمته .

وسألها سيمون : ـ واين هو هذا الشيطان ..؟

ـ لعله فى احدى المتاهات . وقد حذرنى العم شارل بألا القى بالا اذا سمعته يصرخ ، أو يستنجد ، فان هؤلاء الشياطين على قدر كبير من اللؤم .. !

وهز سيمون رأسه ، وعاد الى السؤال الرئيسى :

ـ سيتغير كل شىء عندما تبلغين سن الرشد .

ـ اليس كذلك ..؟ قلت ذلك للانسة هورتنس

مربيتى فأجابتنى بأنه لا يحدث أى تغيير عند بلوغ سن الواحدة والعشرين . وانا متأكدة من العكس .

فقال مؤكدا دون أن يحقق المقصود من اعتقادها هــذا ..

ــ هذا محقق ..

فابتسمت له وقالت :

ــ وهكذا ! باســتطاعة مولاى الامير الســاحر أن يحضر متى بلغت سن الرشد ، ويحطم قيود السحر التى أنوء بها ، فاذا تحررت زال عنى الخوف ، وأصبح باستطاعتى أن اغادر قصر سورسيلو دون خوف من أن اتحول الى ضفدعة !

وتطلعت اليه بنظرة عميقة ، ووضعت يدها على ذراعه المفتول العضل ، الذى اكسبته الشمس لونا اسمر ، وقالت له :

ــ انك يا سيمون مولاى الامير .

وفتح فمه ، وتردد فيما يفعله . وخيل اليه انه من الخرق أن يسلك للتو طريق الحقيقة والواقع . ولم تترك له الفتاة وقتا كافيا لاتخاذ قرار ، فأردفت :

ــ لا تقل انك لست أميرى .. ولا تنكد على ... متى ..؟

ولفظت الكلمة الاخيرة بأمل كبير حتى اختلط عليه الفهم وكررت هى :

ــ متى ستحطم السحر ..؟

فأجابها بعــزم : ــ ليس الامر ســهلا كما تظنين يا ويندى .. كلا ؛ كلا ! لا تتضايقى ..

ورأى دموع الفتاة تتساقط على وجهها الجميــل ،

كما لو كانت طفلة صغيرة . فقال يطمئنها :
ـ أقســم لك بأن أبذل كل جهــدى لكى تنتصرى يا ويندى ..
ـ اننى اثق بك .
ـ شكرا .. وانصتى لما أقوله ..
وقال بصوت يزيد الثقة فى نفس الفتاة :
ـ ان السحر الذى يقيدك موجود فى نفس القصر .
فرددت الفتاة وهى لا تصدق :
ـ فى القصر نفسه ..؟
ـ نعم .. وهناك يجب أن يحطم السحر ، لا فى مكان آخر . فان كارابوس لئيمة ، ولما كانت لا تستطيع اجتياز الدائرة السحرية التى أقامها عمك الطيب شارل، فقد دست سحرها فى قلب القصر نفسه ، ومن هناك تشرق ، وتقيدك بالبقاء .
ورأى بريق الثقة فى نظرات الفتاة ، فلم تناقشه ، بل أخذت كلامه على علاته ، وتابع هو الحديث .
ـ ولتحطيم هذا السحر من جذوره ، يجب أن ادخل الى القصر .
ـ لن يسمح لك العم شارل بتاتا ، بل سـيظنك شيطانا ، حتى ولو أكدت له العكس .
ـ يجب الا يعــلم بشىء ، فلكى انجح فى تحطيم السحر ، وانقاذك ، يجب أن يظل الامر سرا بينك وبينى . وعندما اصل الى هدفى ، يمكننا اطــلاع عمك على كل شىء .
ـ ولكن .. هل ستتحول الى غير مرئى .. لكى تدخل الى قصر سورسيلو ..؟
ولعل هذه هى الطريقة الفعالة لدخول القصر ،

ولكن مهما بلغ حديثه فى المغامرات ، فليست له قدرة على الخوارق ، انما يعتمد على ذكائه ، وخبرته فى احراز النصر .. وقال لها :

ــ لا ينبغى ان يعرف احد . ولا ينبغى أن يرانى أحد ، ما عداك ، أنت يا ويندى . ما هو ترتيب الغرف داخل القصر ..؟

وانحنى وأخذ يرسم بأصبعه على الرمال شكل القصر ، وحاكته ويندى ببراءة ، ومرح الاطفال الذين لا يعرفون معنى الخطر ، وأكملت الرسم ، مبينة مكان الغرف ، واستعمالاتها . وسألها سيمون :

ــ لقد لمحت من بعيد شرفة كبيرة ..

ــ نعم ، وهى تفضى الى قاعة الطعام ، وكذلك الى مكتبة العم شارل . وتقع غرفتى فوقها .

ــ وهل لغرفتك شرفة ..؟

ــ نعم .

ــ حسنا . دعى نافذتك مفتوحة هذا المساء ، فسأدخل منها . وحملقت فيه ويندى وهى تكرر :

ــ ستدخل من النافذة : « وكيف ستصعد الى الطابق الثانى » ..؟

ــ قلت لك يا ويندى من قبل : ضعى ثقتك فى .

ولم تشك فى الامر . فقد كان ، فى نظرها ، قادرا على فعل أى شيء ، فقد قرات الكثير من الاساطير عن معجزات الامراء الفاتنين ، الذين يسيرون على الماء ، أو يطيرون فى الهواء كالفراش . ولذلك كان دخول اميرها من النافذة لانقاذها تلك الليلة ، أمرا مستساغا فى منطقها .

الفصل الحادى عشر

ادار سير شارل المفتاح فى الباب ودفعه ، وأضاء بطاريته ، فرأى اوزوالد بوت راقدا على الارض وسط برازه ، وقد تمزقت ثيابه ، وغطيت بشرته بالجروح من عض الفيران التى تتكاثر عليه ليلا .

وفتح الرجل الضحل عينيه الداميتين ولجلج :

ـ شفقة بى يا سير شارل .. دعنى أخرج ...

وتقدم سيد القصر خطوة دون ان يتكلم ، وتفرس فى وجه سجينه طويلا ، وكان بوت قد وصل الى مرحلة اليأس الكامل ، والاستسلام لاى أمر . فى حين كان السير شارل يفكر فى حل لمشكلته بعد ان تغيب دافيد فى الوقت الملح لحضوره .

وكان قد أعمل فكره ساعات طويلة ، وقرر ان يلعب ورقة جديدة ، حتى لا يفقد الجولة . وجلس على كرسى خشبى ، وبذل بوت جهدا عسيرا للنهوض ، وكان يتألم فى كل حركة ، ويردد التأوهات .. وقال متوسلا :

ـ لقد نسيت كل شىء .. ولم أعد اتذكر شيئا .. دعنى أخرج يا سير شارل ، أتوسل اليك ..

فتنهد سير شارل قائلا :

ـ كم كنت أود ان يكون ذلك مستطاعا ، ولكن للاسف انك هددتنى يا بنى . وستسىء استغلال ثقتى مرّة أخرى .

ـ كلا .. اعدك .

ـ لا يكفى القسم ، اريد اكثر من ذلك .

ـ كل ما تريد يا سير شارل .
ـ حسنا .
ونطق بهذه الكلمة وهو يتأمل محدثه كما لو كان يفحص حشرة تحت المجهر :
ـ ما الذى ينبغى أن افعله ..؟
ـ أن تصلح من هيأتك أولا ، ليكون شكلك مقبولا ، وسيساعدك كروج على ذلك .
وهز كروج راسه ، وكان قد تبعه الى الكهف .

وغزا الامل بوت ، فسيخرج من سجنه ، وسينجو من محنته ، وقد أقسم ان يلزم الصمت ، والا يستغل معلوماته عما يدور فى قصر سورسيلو . ولكن ما عاناه كفيل بأن يبعث فيه روح الانتقام .. على انه لا ينبغى أن يلحظ الخصم مظاهر البهجة على وجهه .. وكرر السـؤال :

ـ ما الذى ينبغى ان افعله ..؟
ـ اشياء قليلة .. اذا استطعت ان تتخيل ، أو ان تعطى الانطباع بانك امير الاحلام .. نعم .. الامير الذى يهبط على الفتيات عند بلوغهن لتحقيق أمنياتهن ... فستتزوج يا بوت !
وفغر السجين فمه ، وحملق فى خصمه على ضـوء البطارية ، وهو لا يعى ما قاله مخدومه السابق ... ونهض الأخير قائلا :

ـ فكر قبل مضى الوقت يا بوت .. فاذا كنت تفكر فى التآمر مرة اخرى ، فلا فائدة من مواصلة الخطة ، اذ سيكون عذابك مريرا .. طاب مساؤك ، وتذكر ان موعد الزواج قريب جدا .
واغلق البـاب خلفه ، واتجـه الى مكتبته والقى

بتعليماته الى كروج :
ـ اشعل المصباح الصغير الذى كنت قد أطفأته ، وقدم له طعاما ، وملابس ، ودعه يغتسل ، ويجمل من شكله .
فسأله الخادم :
ـ هل سيحل بوت محل مستر دافيد ..؟
ـ تماما .. وسيكون اكثر طاعة .
ـ هل أطلق سراحه هذه الليلة ..؟
ـ كلا ، فليبق سجينا ، ولكن بقيود أقل ، وظروف أحسن ، على ألا يتمكن من الهرب ، ولو خف الخطر ، فالافضل الخلاص منه ، على أن ندعه يرحل .
وتقلص وجه الخادم ، الغليظ ، وعبر عن الفكرة التى تقلق باله فقال :
ـ حتى ولو تزوج ، فقد يثرثر فيما بعد ، عند اطلاق سراحه .
فهز سير شارل منكبيه ، ولم يتغير صوته ، او أساريره وهو يجيب :
ـ من قال لك يا كروج ان بوت سيصبح طليقا فى يوم من الأيام .. ؟
ـ انك لن تستطيع الابقاء عليه هنا بعد زواجه ..
ـ ولماذا لا ..؟
وبذلك أنهى سيد القصر هذا النقاش ، واستدار فجلس الى مكتبه ، وأخذ يقلب أوراقا ، ومن خلفه خزانة كبيرة مفتوحة الى نصفها . وخرج كروج على أطراف أصابعه ، فقد كان يخيل اليه أن سير شارل فوق مستوى البشر ، عندما يجلس الى مكتبه ، ليجمع الارقام ، والرموز التى تتحول الى مال وعقار ..
وانقضى الوقت ، والرجل ذو الشارب الابيض يعمل

بدقة متناهية ، دارسا كل الاوضاع والاحتمالات التى تنجح خطته بعد أن صمم على تنفيذها بأى ثمن .

وادبر النهار ، واقبل الليل ، وكان زورق سيمون مختبئا بالقرب من البلاج الصغير الخاص ، وجلس هو فى مؤخرته وفتح علبة الكرتون التى وضعها فى كابينة الزورق ، صديقه ديفار ، ودهش لمحتوياتها ، فقد ملأها طعاما يكفى ليومين وشملت كل أنواع الطعام الشــــهى .

وأضاء القمر المكان ، وكان سيمون قد خطط لنفسه أن يسبح حتى البلاج فى سفح القصر ، حاملا معه كيسا من البلاستيك به الملابس الضرورية ، وهى بنطلون ، وقميص ، وصندل ، فلم تكن هناك ضرورة لارتداء ملابس كاملة لدخول قصر سورسيلو .!

وفحص الرسم الذى خططه للقصر وفقا لبيانات ويندى ، على ضوء المصباح الخافت الذى ينير الزورق، الذى احيط بستائر زرقاء حتى لا يتسرب الضوء الى الخارج . ودرس القديس طريق الدخول : الســـلم المنحوت فى الصخرة ، ثم الوصول الى الشرفة حيث يتسلق الواجهة كما رآها بالمنظار المكبر ، وهى عملية غير شاقة .

وتخيل القديس من المعلومات القليلة التى وصلت اليه عن السير شارل انه ملا القصر بأجهزة الانذار ليتنبه على الفور عند تسلل اى زائر غير مرغوب فيه الى قصر سورسيلو . ولابد أنه وضع رقابة ميكانيكية تقوم بالسهر عليه خلال الليل . ولكن لم تكن هـــذه هى أول مرة يواجه فيها سيمون مثل هذه المغامرة ، فكم من مرة صادف فيها مثل هذه الاجهـــزة الليلية

وتخلص منها ، كما أن اشد اللحظات حرجا ستمر بسلام مادامت ويندى ستفتح نافذتها .

وكان جهاز الانذار موجودا فعلا ، ففى كل مساء ، ومنذ أن تبدأ السماء فى الاظلام ، يضع كروج والآنسة هورتنس هذا الجهاز الموضوع فى المطبخ ، فى حالة تشغيل . فيحاط القصر بدائرة كهربية ، ولا يستطيع أى انسان دخوله دون أن يدق الجرس ، ويضىء مصباح .. وكذلك كانت كل نوافذ الطابق الارضى ، والابواب التى تفتح على السطح والشرفات مزودة بجهاز الانذار ، كما كانت هناك دائرة كهربائية أخرى فى الاماكن الحساسة .

وامسك الخادم بمقبض الجهاز استعدادا لتشغيله، فقالت هورتنس التى كانت واقفة تتطلع اليه :

ــ الافضل تشديد الرقابة على ويندى .

فسألها الرجل الفظ : ــ ماذا حدث لها ..

ــ لا أدرى . ولكنها تغيرت فى الايام الاخيرة .

فقال كروج وهو يضحك ساخرا :

ــ ربما كان حلول عيد ميلادها يوتر اعصابها ! اذ تتخيل أن كل شىء سيتغير من يوم الى آخر .

فقالت المربية وهى تشعر بخوف يخالجها :

ــ يبدو كأنها تنتظر انسانا أو أن نجدة مجهولة ستصلها من الخارج .. ولكن من يهتم بها ..؟

فهز كروج منكبيه هازئا وحرك قدميه قائلا :

ــ سينتهى كل شىء بعد قليل .. والآن يجب أن أتحدث مع سيدى . واستوقفته هورتنس باشارة وهو يهم باجتياز الباب :

ــ من مصلحتنا أن ننسق عملنا سويا .

فلم يجبها وقصد الى المكتبة حيث جلس سير شارل

يفحص الاوراق . وتطلع الى كروج متسائلا عما يريده، فقال الاخير .

ــ خطر لى يا سيدى انه ليس من السهل اجراء الزواج فى فرنسا .

ــ هل اكتشفت ذلك وحدك ..؟

ــ علمت ذلك وانا أثرثر مع ساعى البريد بينما كان يضع الخطابات فى الصندوق . ويبدو أنه على العروسين التوجه الى مكتب العمدة اذا ارادا شرعية الزواج ، أما الكنيسة فهى اختيارية فيما بعد لمن يريد .

ومال سيده الى الخلف وتناول سيجارا من علبة مفتوحة على الطاولة وثبتها فى طرف مبسم من الصدف الاسمر ثم أشعلها ، وشفط نفسا عميقا وقال :

ــ ان معلوماتك ناقصة يا كروج .

ــ اشك يا سير شارل فى انك تعرف أكثر منى ..

ــ عندما يمرض احد العروسين .. مرضا شديدا . يشرف على الموت ، فان من حق العمدة الحضور الى البيت لعقد الزواج .

وتدلت شفة الخادم السفلى ، الثقيلة ، من الدهشة العميقة وسأل :

ــ ماذا تقول : يشرف على ....

ــ على الموت .

ــ من هو الذى يشرف على الموت .. ؟

واختنق الخادم من الذعر ، وزاغ بصره ، وقرأ سير شارل ما يجول بفكره فقال له :

ــ اطمئن يا كروج ! فانا لا افكر فيك ، هناك

شخص آخر فى سورسيلو ..

ــ من ..؟

ــ اليس هذا العزيز أوزوالد بوت مريضا جدا ..؟

واشرقت أسارير الخادم ، فقد فهم هذه المرة خطة سيده ، ولكن شعاع الذكاء لم يدم طويلا فعاد يسأل .

ــ ومتى يتم عقد القران ..؟

فأشار سير شارل الى مظروف ثقيل على الطاولة وقال :

ــ كل شيء معد . وما على الا أن اضع خلاصة للعقد فى هذا الخطـــاب . ثم يتولى رجال القـــانون التنفيذ ..

ــ سيتسلمون التركة ..؟

ــ بكاملها ، فان بنود الوصية التى تركها ابوها صريحة ، فهو يقول : منذ اللحظة التى تبلغ فيها ابنتى سن الرشد ، يكون لها حق التصرف فى كل الممتلكات . أما اذا تزوجت ، فيتولى زوجها ادارتها .

وابتسم الخادم ببلاهة وقال :

ــ ومتى نقبض نصيبنا ، هورتنس وانا ..؟

ــ لن يستغرق ذلك وقتا طـــويلا . ولا شأن لك بهورتنس ، فقد يتضاعف نصيبك ، والامـــر يتوقف عليك

ــ ولكننا كنا على اتفاق ...

ــ وهل ترفض استلام مبلغ اكبر ..؟ لا شك ان بوت سيحل محل دافيد عن طيب خاطر ، مادام ابنى غائبا . ولكن .. ماذا نصنع ببوت بعد ذلك ..؟

وساد صمت طويل ، وابرقت عينا كروج فجأة وتساءل :

ــ وهل ستكلفنى بهذه المهمة يا سير شارل ..؟

ــ طبعا ... اذا كنت عند حسن ظنى بك .

وشفط نفسا من سيجاره ، وشرب جرعة من كأس الشمبانيا الموضوع أمامه ، وعاد الى حساباته ، وهو يمنى بالثروة التى ستئول اليه ! ولم تعد الا اجراءات أخيرة ، ويصبح هو مالكا لكل هذه الثروة التى تركها اخوه . ولن تضايقه هذه العبيطة الصغيرة : ويندى. حتى لو فاقت من خيالها الطفولى ، فستجد نفسها مجردة من ثروتها ، عاجزة عن تقدير حقوقها .

ولم تكن ويندى تفكر فى المال فى هذه اللحظة ، بل كانت تجهل قيمته . فان الطريقة التى ربيت بها لم تكن تسمح لها على الثروة . وكانت تتخيلها خزائن مملوءة بالمجوهرات ، واللعب الفاخرة ...

وانصرف فكرها ذلك المساء الى أميرها ، الذى وعدها بالدخول من نافذتها وانقاذها من السحر . ووضعت مصباحا مضاءا عند رأس فراشها ، ثم اقتربت من النافذة وترددت قليلا قبل فتحها ، فقد كانوا يحرمون عليها دائما فتحها . وكانت الآنسة هورتنس وحدها صاحبة الحق فى اختيار الوقت المناسب لفتحها. ولكن مادام الامير قد طلب من ويندى فتح النافذة فقد أدارت مقبضها وفتحتها بعزم ثابت .

بل انها جسرت على أكثر من ذلك ، فتقدمت من الشرفة الضيقة ، وجالت بنظرها فى الجوار ، حيث ساد الظلام ، عدا شعاع خافت فى الشرق ، هو شعاع

القمر الذى حجبته السحب . ولم ينبعث اى ضوء من القصر . وكانت نوافذ الطابق الارضى مغلقة باحكام.

وظلت ويندى دقائق طويلة تترقب اشارة تنبىء بوصول منقذها .. واخذت تتخيل الامير سيمون ، وتستعرض فتنته ، وقوته ، وتحديه لقوى السحر .. وتمتمت :

« آه ! يا أميرى العزيز » ..

وكان القديس قد وصل فعلا الى البلاج الواقع فى سفح القصر ، ثم تطلع حوله ليطمئن الى عدم وجود فخ ، ثم اخذ يتسلق السلم المنحوت فى الصخور ، وتقدم درجة فدرجة ، فى حذر واستعداد للمواجهة .

وفى منتصف الطريق راى الضوء يسطع فى الطابق الثانى ، وبدا خيال الفتاة فى الشرفة ، فقد نفذت ما طلبه منها ، وتجردت من الخوف الذى زرعه فى نفسها عمها ، واولت ثقتها ذلك المجهول الذى انبعث من اعماق البحر كالحرزون عشية بلوغها الواحد والعشرين عاما ، حاملا لها الوعد بتحريرها .

وانتهى من الصعود وبقى ان يتسلق السياج المصنوع من المسلح ، فألقى نظرة سريعة على الجوار، ثم اتى بحركة رياضية رفعته فوقه ، ووجد نفسه أمام باب مرتفع محكم الغلق . وعلت وجه سيمون ابتسامة .

ولو ان قوة خفية نقلته فى هذه اللحظة الى مطبخ القصر لراى على لوحة الانذار ضوءا أحمر يضىء وينطفىء على التوالى .

وزمجر كروج ، وشحبت هورتنس .. ماذا حدث .؟ هل أتى زائر ليلى .؟

الفصل الثانى عشرة

تطلعت ويندى الى المنبه الصغير الموضوع على طاولة وكان منتصف الليل يقترب ، وحدثت نفسها : « بعد بضع دقائق سأستقبل عامى الواحد والعشرين .. »

ونهضت تتطلع الى الفضاء ، واستولى عليها القلق خوفا من الا يحضر فتى احلامها . وأصاخت السمع ، فلم يترام الى اذنيها الا زمجرة البحر على سفح الجرف، والتى كانت تغطى على أى صوت آخر .

ومع ذلك كان القديس قد اتم الجزء الاخير من تسلقه، وقد سهلت الاعمدة التى تزين الباب مهمته ، ولكنه تريث يتأمل الموقف .. انه يلعب دور روميو ! فهل كانت الفتاة من سنه ؟ كلا على وجه التحقيق .

وتعلق بأحد هذه الاعمدة تاركا جسمه معلقا فى الهواء، مثلما كانت مغامراته السابقة قائمة على مواقف معلقة فى الفضاء . وعندما قفز الى الشرفة استقبلته ويندى قائلا :

ـــ ها انت قد جئت ...

فتقدم ووضع يده على فم الفتاة ومنعها من الكلام قائلا :

ـــ لا تلفظى باى كلمة حتى لا يشك احد .

وجذ بها الى دائرة الظل حتى لا يرى خيالهما .

وكان كروج قد هرول عندما اعطيت اشارة الخطر فى المطبخ ، فاجتاز الصالون والقاعة ، ووصل الى المكتب حيث كان سير شارل قد انهى ابحاثه وتأهب لاعادة الملفات الى الخزانة ، وصاح بالخادم :

ـ كيف تجسر على الدخول بهذه الطريقة يا كروج . .؟
ـ معذرة يا سيدى . . هل خرجت من الغرفة . .؟
ـ اننى لم اغادرها .
ـ الم تصعد الى السطح أو الشرفة . .؟
ـ قلت لك كلا ! ولماذا السؤال . .؟
ـ لقد اعطيت اشارة الخطر ، فأضاء احد المصابيح عدة مرات ، كما لو ان أحدا مر امام العين الكهربائية .

ونهض سير شارل على الفور وفتح درجا ، وتناول مسدسا ثقيلا ، وطلب من خادمه ان يتبعه . وفتحا باب النافذة المطلة على الشرفة ، وكان كل شىء هادئا . والظلام يسود المنطقة عدا أضواء سفينة تعبر الشاطىء القريب ولم يريا الزورق المختبىء فى الجوار .

وانحنى سير شارل من اعلا السياج ونظر الى اسفل ثم قال :

ـ لا شىء . . !

ثم رفع يده بارتفاع رجل ، وحركها عدة مرات ، من اعلا الى اسفل أمام « العين الكهربائية الخفية » التى ترسل الانذار الى الجهاز . وأمسك كروج بيده واشار الى الطابق العلوى . فقطب سير شارل حاجبيه وزمجر :

ـ مازالت غرفتها مضاءة مع اننا بعد منتصف الليل !

ودس المسدس فى جيبه وناداها :

ـ ويندى . . ويندى . . !

ورفع صوته ، وأخيرا انبعث صوت من فوق كما لو كانت ابواب النافذة ترتج . وكان سيمون هو الذى قام بهــذه الحركة للتضليل ، ودفع الفتاة الى الامام هامسا :

ـ يجب الا يعرفوا بوجودى هنا !

وانحنت قليلا من فوق السياج وقالت :

ــ اهو انت يا عمى شارل ..؟

ــ نعم . الم تنامى بعد ؟ لماذا ..؟

ــ لقد استيقظت الآن .. لاننى ... لاننى عطشانة.

ــ هل رايت احدا ..؟

ــ ومن عسانى أراه يا عمى .. ؟ يا الهى .. ! هل هرب الشيطان ؟

ــ كلا .. كلا .. لقد سمعت صوتا ... لا اهمية لذلك الآن ، بسرعة اسرعى ونامى .

وارتج باب الشرفةثانية ، وفتحتويندى فمها لتسأل أميرها عما اذا كان راضيا عنها ؟ وهل تصرفت كما يريد ..؟ ولكنها لم تر احدا فى غرفتها ...

وليس هناك اى اثر للأمير سيمون . كما لو لم يصل غرفتها بتاتا ، وكما لو انه لم ينبعث من الظلام ، متسلقا الشرفة مجبرا ويندى على السكوت .

ودارت الفتاة حول نفسها ، وفتشت الستائر الكثيفة التى تحيط بالعرض المقام فى زاوية الغرفة ، وفتشت فى الحمام القريب ، ولكن سيمون قد تبخر ! ومع ان ويندى كانت تأسف لمثل هذا الاختفاء الا انها لم تكن ترى فيه اى غرابة ، فكل شىء مباح للامير الفاتن ، وهو قادر على تسلق الجدران ، والصعود الى القمر ، وهو على اى حال قريب منها ، ساهر على حياتها ... كانت واثقة تماما ، فقد حمل لها فى عيد ميلادها أجمل هدية.

وعاد سير شارل ، القلق ، الى فحص السطح مرة أخرى ، وقال كروج اخيرا :

ــ لعله خفاش طار أمام العين الكهربائية مما أدى الى ارسال الانذار .

ــ من الجائز .

ـ أو أن فأرا قرض أحد الاسلاك فسبب الانذار .
ـ ربمـــا .
واتجها الى المكتبة ، واغلق النافذة خلفهما ، واسدل الستائر الكثيفة ، وهو يشعر باستياء شديد : منذ بضعة أيام تتوالى المنغصات ، التى تشـــغل باله ، وتسبب له الهم والقلق : فمن مساومة بوت ، الى ظهور شريك فى شرفة فندق ماجستيك ، ثم الحادث الذى اعترض دافيد ، وأخيرا هذا الانذار وسط الليل.
وسأل خادمه : ـ ما رأى هورتنس .. ؟
ـ انها مشغولة بمس ويندى . وتزعم ان الفتاة قد تغيرت فى الايام الاخيرة كما لو كانت تنتظر شيئا ..
ـ أى شىء مثلا .. ؟
ـ لا أحد يدرى .
وتوقف فى الصالة وسأل خادمه .
ـ هل فعلت اللازم من اجل بوت .. ؟
ـ نعم يا سيدى ، ويبدو انه فى تحسن .
ـ هل خضع .. ؟
ـ مثل الحمل .. !
وتنهد سير شارل ، فان الدقائق الاخيرة فى الخطة هى اصعب أوقات الحياة ، ولكنه لن يستسلم ، فالربح مضمون .. وقال لخادمه :
ـ اذهب وطمئن هورتنس . وعليك بفحص جهاز الانذار صباح الغد . طابت ليلتك يا كروج .
وقصد الخادم الى المطبخ حيث كانت المربية تقـــرأ احدى الروايات الرخيصة ، وهى تشرب كـــوبا من الشاى المشبع بشراب الروم .. وقالت :
ـ اننى لم أر احدا ، طبعا !

ـ حتى ولا قطة !

ـ ما أن خرجت كالمجنون حتى أنطفأ المصباح ، كما لو ان زائرك قد تبخر فى الهواء .

ـ لقداضطررنا للنداء على مس ويندى ، وكانت قد استيقظت لعطشها .

وتنهدت المربية طويلا وقالت :

ـ يجب انهاء هذه المهزلة ، فقد بدات اسأم قصص الجان !

ـ وأنا ! فهذه المجنونة ويندى تنظر الى كما لوكنت ضفدعا !

ولم يكن السير شارل قد اقتنع باجابة ويندى ، وادعائها انها شعرت بظمأ فاستيقظت . فان الظمأ لم يعرض لها الا عندما أرسل جهاز الانذار اشارة الخطر كما أن الفتاة أجابته بسرعة عندما ناداها من الشرفة وأخذ يعقد مقارنات بين مواقف الفتاة اخيرا ، وأسئلتها للمربية ، مما يدل حقيقة على انها تنتظر فارس أحلامها وشعر سير شارل ـ مثل المتآمرين معه ـ بالحاجة الى الاسراع لانهاء الخطة التى بدأها منذ خمسة عشر عاما .

واتجه بحزم الى الطابق الذى تقيم به ويندى ،وقرع باب غرفتها بسبابته ، ودخل الغرفة دون ان ينتظر ردها . وكانت الفتاة واقفة وسط الغرفة ، متدثرة برداء طويل ، وتدلت خصلات شعرها الذهبى الجميل على كتفيها . وابتسمت لعمها الذى قال لها بدهشة :

ـ الم تعودى للنوم بعد يا ويندى .. ؟

والقى حوله نظرة فاحصة ، وكتمت الفتاة ارتجافها، وهى تخشى ان يكتشف زيارة الامير سيمون لها . ولجلجت :

ـ لا ... لا أشعر برغبة فى النوم .
ـ آه ! لماذا .. ؟
ـ لا أدرى . فأنا أفكر طوال الوقت فى ... فى الغـد .
فقطب حاجبيه الابيضين وهز منكبيه قائلا :
ـ انك مازلت تحلمين يا ويندى ! واننى لاتساءل عما اذا كانت بعض الارواح الشريرة قد تسللت الى داخلك دون انتباه منك !
ـ آه ! كلا ! .. فاننى التزم الحذر طوال الوقت ومن أين تدخل ؟ فالباب مغلق .
ـ لقدفتحت النافذة منذ قليل .
ـ لحظة قصيرة اذ كنت اشعر بالحر ، ولا استطيع النوم .
وتطلعت اليه ، وقد ملأتها الثقة وسادها الاطمئنان فان وجود سيمون اكسبها نوعا من الشجاعة . وسألته:
ـ الم تنشىء شبكة سحرية حول القصر ؟ وما من شيطان يجسر على اختراقها .
وتفرست فيه بجرأة ، فاستدار ، واقترب من المكان الذى توجد به لعب ويندى ، وعرائسهاالموضوعة على قدمى العرش ، ورفع الستائر وقال :
ـ حسنا ! اننى اشعر بالامن فى قصر سورسيلو . ويجب الا تخافى شيئا يا ويندى ما دمت بالقرب منك..
ومر امامها ، وداعب راسها بحركة آلية واتجه الى الباب ، بعد ان اطمأن الى عدم وجود اى شىء فى غرفة الفتاة قد يسبب له انذارا جديداً . واقفل الباب ، وتردد قليلا ، وراودته فكرة قفل الباب بالمفتاح ، ولكنه خشى ان تسىء الفتاة تفسير هذا التصرف ، فعدل عن فكرته.

منذ ان اعلن جهاز الانذار اشارة الخطر لم يضع سيمون وقته هباء . فبينما احتجزت ويندى سير شارل وشغلته بالاسئلة ، وراحت تجيبه وفقا لتعليمات القديس كان هو قد تسلل من الغرفة ، ونزل السلم المؤدى الى الصالة الكبيرة ، حيث كانت تغطى كل الابواب ستائر كثيفة ، فأختفى خلف احداها واستطاع أن يسمع جانبا كبيرا من حديث سيد القصر مع خادمه .

واغتبط لقلقهم ، وكان الحظ قد مكنـــه من تخطى شبكة الانذار غير المرئية . كما ان الخصم بدأ يحس الخوف والقلق .

ورأى سير شارل يصعد السلم ، وسمعه يدخل الى غرفة الفتاة . وأسرع هو فدخل الغرفة التى غادرها الرجل ذو الشارب الابيض . وكانت مظلمة ، وساكنة اذ أطفأ سير شارل نورها عند خروجه . الا ان زجاج النافذة المرتفعة ، الملون كان يضىء الغرفة بشـــعاع بسيط كاف لتمييز قطع الاثاث ، والمكتبـــة المزدحمة بالمجلدات ، ومقاعد الجلد ، والمائدة الكبيرة الموضوعة وسط الغرفة . واخرج سيمون من جيبه بطارية كهربائية صغيرة ، وضغط على زرها ، وفحص الغرفة ليتأكد من خلوها من أى رقيب . ثم سلط الضوء على الطاولة ورأى مظروفا معدا للارسال ، وانحنى عليه سيمون وقرأ العنوان التالى :

السادة بروكسى فيلمنج وساد
طريق جرييزاين رقم ٢٩٥
لندن — انجلترا

ورفع سيمون المظروف بيده ، وقد ادرك انه مرسل الى بعض رجال القانون . واخرج الخطاب من المظروف بدون تردد ، فقد أيقن ان هذا الرجل الشرير يدبر

عملية نصب جديدة .

وبدأ يقرأ على شعاع البطارية الصغيرة ، وارتسمت ابتسامة الشك على شفتيه وهو يقرأ :

ستجدون رفق هذا شهادة زواج ابنة أخى ، ويندى كليف ، وقد احتفل بالقران اليوم . ويدعى الزوج السعيد كما ترون ، أوزوالد بوت ...

واشاح القديس الخطاب قليلا ، واخذت التفاصيل تتضح أمامه . فقد رسم سير شارل خطته بعناية فائقة كمن يعد آلة جهنمية ، ويشعل شعلتها ، حاسبا الوقت اللازم لتفجيرها ، فقد كان الخطاب مؤرخا بتاريخ الغد . او على الادق بتاريخ نفس اليوم ، مادام منتصف الليل قد انقضى . وهذا هو اليوم الذى تبلغ فيه كليف سن الرشد . وقد انتظرت الفتاة طويلا هذا اليوم ، كما اعترفت لسيمون ، ولكن عمها كان ينتظره بشغف اكثر .

كان يبدو واثقا تماما من نفسه ، ولم تكن خطته تحتمل اى تأخير . وقد أعلن مقدما زواج ويندى .. وبمن..؟ بالشاب أوزوالد بوت ، وهو نفسه الذى سمع سيمون تهديداته ومساوماته ، وعندما كان يسترق السمع فى شرفة غرفة شارل فى فندق الماجستيك ... وهو بوت نفسه الذى كان فيما مضى سكرتيرا للسير شارل ، وهو يساومه اليوم .

وهذا الازوالد بوت هو نفسه ايضا الذى رحل من المدينة وكان بصحبة مخدومه السابق ، وكروج . وتذكر سيمون كلمات ويندى عندما قالت له بسذاجة : « ان عمى شارل شجاع جدا ، فهو لا يتردد فى العراك من اجلى ! وقد استطاع ان يقبض بالامس على شيطان وسجنه فى متاهة فى القصر . »

وليس هذا الشيطان ، الا أزوالد بوت ، بكل بساطة فكيف يشترك مع سير شارل فى مؤامراته ، الا اذا كان مجبرا على ذلك ... ولكن ما أهمية ذلك لسيمون : المهم الان هو التدخل ، ولم يكن يخطر ببال سير شارل الذى قاد خطته الى نهايتها المرجوة أن يجد القديس فى طريقه ، وحدث سيمون نفسه : « هذا هو دورى فى اللعب يا عم شارل » .

وفى هذه اللحظة أضاءت المكتبة وارتفع صوت يقول:

ــ سأطلق النار لاقل حركة ...

الفصل الثالث عشر

ظل سير شارل قلقا مهموما بعد أن غادر غرفة ويندى بالرغم من اطمئنانه لمسلك الفتاة . فنزل السلم مقطب الجبين ، وهو يستعرض كل تفاصيل خطته ، وميكانيكيتها ، فلم يجد أى خطأ .

ولكن تأخر ابنه دافيد كان من شأنه ان يعطل هذه العملية الضخمة التى ستجعل منه المالك الوحيد للثروة ولحسن الحظ ان جاء بوت فى طريقه ، فقد ضمن وجوده نجاح الخطة النهائى .

وبعد أن اصلح سكرتيره السابق من هيئته ، أصبح الزواج محققا ، والعملية منتهية ، ولا اعتراض لاحد عليها . أما ذلك الشريك الذى حاول بوت اقحامه ، فلم يكن منه خطر .

وعندما وصل الى الصالة ، تردد سير شارل قليلا وأخذ يستعرض ما فعله اليوم ، فقد حرر الرسالة المرسلة الى محاميه ، وأرفق بها كشف حساب أولى عن تصرفاته مدة وصايته ، وأحكم تلفيقة بحيث لا يدع

مجالا للشك فيه . ولم يعد ينقص الرسالة الا شهادة زواج ويندى . ولكن سير شارل كان يحس بقلق من جانب كروج وهورتنس ، فقد أبديا أخيرا تصرفات وملاحظات،استاء لها ، ولم يعد يرتاح اليهما . وتساءل عما اذا كان الاثنان لا يعملان سرا لازالته هو ، والعمل لحسابهما الخاص . ولذلك يجب الحيلولة دون أى محاولة لهما ، وبالتالى عدم تمكينهما من الاطلاع على خطابه المرسل الى محاميه فى لندن . وفتح باب مكتبته ورأى شخصا واقفا يسلط ضوء بطاريته الصغيرة على ورقة ، وبدون أى تفكير فى شخصيه هذا المجهول ، أمسك بمسدسه الذى كان قد دسه فى جيبه ، ورفعه باحدى يديه ، بينما ضغط على مفتاح النور بيده الاخرى وقام بكل ذلك بسرعة لم تدع ايا منهما يعى ما حدث ، وصاح سير شارل :

— سأطلق الرصاص لاقل حركة !

وظل واقفا على عتبة الباب ، بينما استدار الزائر ببطء . وارتعد سير شارل ، واستولى عليه نوع من الغضب البارد ، ولكنه شعر بالانتصار ، فقد كان الرجل الذى أسره بسلاحه هو نفس الشخص الذى ضبطه كروج فى شرفة فندق ما جستيك وهو يسترق السمع . انه شريك بوت !

وقال سير شارل متهكما :

— مرحى ... ها نحن نتلاقى ثانية ...

وأجاب سيمون : — طاب مساؤك يا عم شارل .

ورجف عم ويندى كمن تلقى ضربة كرباج على وجهه قال آمرا بخشونة :

— دع هذه الورقة ... اسرع ! وارفع يديك فوق

راسك ...

ولم يخطر للقديس ان يقاوم فى هذه اللحظة ، فقد كشف فى نظرات خصمه الشاحبة ، الاصرار على اطلاق النار لاقل مخالفة ، ولذلك تصنع الخضوع المطلق ، انتظارا للحظة الهجوم المفاجىء ، متى سنحت الفرصة.

وكأنما قرأ الخصم أفكاره ، فقد قال هازئا :

ــ لا تأمل فى الافلات من قصر سورسيلو !

وابتسم سيمون ، ويداه مشبكتان على جمجمته ، واظهر عدم اكتراثه . وصاح به سير شارل :

ــ كيف دخلت الى هنا .. ؟

ولم يجب سيمون ، وزادت ابتسامته فصاح به الاخر : ــ

ــ اجب .. !

واهتز المسدس فى يده ، فهدأ هيبلار من غضب خصمه قائلا :

ــ لقد انزلقت على شعاع القمر . هل يدهشك ذلك ؟ وهل تزيد دهشتك اذا اعترفت لك باننى قادم من بلاد الجان .. ؟

ــ كفى ! ما اسمك .. ؟

ــ صاحب السمو الملكى الامير الظريف .

وتقدم سير شارل خطوة ، وتقلصت أساريره ، وأموج فمه وزمجر :

ــ لا فائدة من هذا الهذار ! فأنت شريك بوت ، اليس كذلك .. ؟

ــ ولماذا لا .. ؟ بالرغم من ..

ــ اكمل اعترافك !

ــ اننى اعمل عادة وحدى ... هذا الى ان بوت التعيس لا يبدو شجاعا ...

وساد الصمت ، وتذكر سير شارل الانذار الذى نبه اليه الجهاز الكهربائى ، والجولة التفتيشية التى قام بها ، ولاح له انه أدرك الطريقة التى تسلل بها المجهول الى القصر وقال :

ــ لقد هبطت على البلاج ، وتسللت الى هنا ، فكيف دخلت .. ؟

ــ ان أصدقاء الجان لا يعترفون بالاقفال او الابواب المغلقة .

ــ كف عن هذا المزاح .. !

وبالرغم من بروده الطبيعى ، وسيطرته على اعصابه فقد تملكه الغضب ، وفقد هدوءه تجاه هذا الخصم الفريد فى نوعه ، وكرر سؤاله :

ــ الح فى معرفة اسمك .. ؟

ــ حسنا ... ولكن ذلك يسوء اليك فحذار ياعم شارل ، فعندما أقدم نفسى ، فان الرعب يستولى على الاشرار !

ــ أجب !

ــ ما دمت اردت : انا القديس .

وساد صمت طويل ، فلم يخطر بباله ان هذا الرجل هو القديس ، وليس بأحد صغار المحتالين ... واستعاد بروده وقال :

ــ وما الذى يبحث عنه القديس فى قصر سورسيلو؟

ــ كنت ابحث عما وجدته فى الخطاب الذى أردت ارساله الى السادة بروكسى وشركائهم .

وتنفس عم ويندى بعمق وسأله :

ــ وما وجه الغرابة فى هذا الخطاب .. ؟

ــ مفتاح لغز كان يبدو معقدا فى البداية .. وقد

قدمت لى أنت مقدماته ذات مساء عندما كنت فى فندق ماجستيك .

ــ انا واثق بأنك شريك بوب .

فهز القديس منكبيه بعدم اكتراث وقال :

ــ ربما .. ولكن بوب لم يشرح لى شيئا . فان هذه القصة تبدو غريبة حقا ، وانا لا اعتقد فى بابا ــ نويل يا عم شارل ، ولا فى الجنيات ...

فزمجر كليف دون أن يرفع بصره عنه !

ــ دعك من هذه السخافات ! اريد جوابا صريحا محددا ، وعليه يتوقف قرارى فى ان اتركك حيا ام لا .

ــ انك تتمسك بقطع الشوط الى النهاية ... والواقع اننى لم اكن أصدق اقوال بوب عن الجان ، والسحرة ، والشياطين ! وكنت مخطئا ، لاننى أواجه امامى الان شيطانا كريها .. !

ــ حذار .. !

ــ بل اكثر بشاعة من ضفدع جبلى ، ومن بهيم خسيس : انه شيطان كفيل بان ينصب على فتاة صغيرة بقتل ذكاءها . ومن النـــادر أن يصادف الانسان نذلا كهذا .

ولم يكرث سير شارل بالاهانة بل سخر منها ودق زرا على الطاولة قائلا :

ــ تخال نفسك شديد البأس يا قديس .. !

ــ اننى كذلك الى حد اننى انصحك بأن تأخذ حذرك فانك تدبر عملية خطيرة ، لا نظير لها . وقد قابلت فى حياتى الحافلة بالمغامرات كثيرا من الاوغاد ، الانذال ولم ينج احدهم من يدى ... فلا تنس ذلك .

ــ اطمئن .. فلن يكون الحال معى كذلك ..!

ـ وهكذا كان شأن الآخرين .. كانوا مقتنعين بذلك . وكلما تطلعت اليك ، كلما خيل الى أنك خارج من وكر خيالى ، والحق معك الى حد ما : انت أسفل الشياطين جميعا لانك منعت فتاة من الازدهار ! فلم توجه اليك قط سؤالا عن ارث والدها ، ومع ذلك فقد بقى الاساس .. ما الذى ستفعله يوم بلوغها سن الرشد .

ـ الحق معك يا قديس ، فأنت على علم بالكثير .

ـ كل شىء ، عدا شيئا واحدا وهو : كيف تفلح فى تزويج ويندى برجل لم تره قط من قبل .

فكرر سير شارل كلمات القديس وهو يزن كل كلمة وبرقت عيناه :

ـ لم تره من قبل .. هل جسرت على التحدث معها ..؟

ـ هممت بأن أطلب منك تعريفنا ببعضنا ، ولكننى لم أود اقلاقك .

ولكن سير شارل تجاهل هذه السخرية وسأله :

ـ وهل تحدثت معك ؟ لم أكن مخطئا عندما تخيلت بأنها تخفى عنى بعض الاسرار .

ـ نعم ! فلم يكن كافيا تنويم الحسناء ، بل كان من الضرورى مراقبة احلامها .

فقال سير شارل مختتما بصوت ساخر :

ـ فهمت يا صاحب السمو .. يخيل الى انها ظنتك هذا الامير الظريف الذى كانت تترقب قدومه بفارغ الصبر .

فسأله سيمون بسخرية :

ـ وكيف ستفسر لها اختفائى ..؟

وفتح الباب فى هذه اللحظة وراء ظهر القديس ، فلم يتحرك ، ودخل كروج واخذ يتأمله بذهول ، وسأل كليف القادم :

ـ هل تعرف صاحبنا يا كروج ..؟

ـ ولكن .. كيف يا سيدى ؟ لقد ناديتنى ..

ـ نعم . فقد وجدت الامير الظريف فى المكتبة . وكان يبدو مهتما بصفة خاصة بقراءة بريدى .. ويلوح ان الرءوس المتوجة تحب التسلية .. اليس كذلك يا قديس ..؟

ولم يجب سيمون ، او يتحرك ، بل راح ينتظر .. وكان بوسعه اشعال المعركة على الفور ، ولكنه فضل تأجيلها ، بالرغم من خوفه على ويندي ، فقد كان حريصا على عدم الفشل .

وأمره كليف :

ـ استدر ، وتقدم حتى الحائط وضع يديك على الحاجز ..

وهو وضع يجعل سيمون فى حالة عجز تام من المقاومة ، ولما أطاع ، وجه سير شارل القول لكروج :

ـ فتشه .

واخذ الخادم يتحسس جيوب سيمون ، وبعد تفتيش دقيق قال :

ـ انه لا يحمل أى سلاح .

وكان يجهل أن القديس يتجنب التجول حاملاً أسلحة نارية ، فهو يعتبرها جالبة للانتباه بضجيجها . ولكنه يكتفى بحمل خنجر موضوع فى جراب من الجلد ملتصق بذراعه او بساقه . وكان يسمى سلاحه : الحسناء ، وكان يحمله فى هذه المرة لاستعماله عند الحاجة . ولكنه كان يتقزز من البقاء فى هذا الجو الاسطورى

الذى خلفه كليف لابنة اخيه .

وصاح بهما : — اننا لا نحمل مدافع ولا رشاشات .. نحن معشر السحرة . ولكننا نفضل السحر . أليس كذلك يا عم شارل ..؟ انى أعشق السحر .

— وهذا ما سنتحقق منه .. أخرج أمامنا ، دون أن تخفض يديك من فوق رأسك ، وحذار من مخالفة الامر ، لان مسدسي شديد الحساسية .

ومر الجميع فى الصالة ، وكان سير شارل يضغط بمسدسه على رئتى تمبلار ، حتى وصلا الى الباب المؤدى الى القبو ، ففتح كروج — بناء على شارة من سيده الباب الثقيل . وأمر الاخير سيمون بالنزول . وأضاء سير شارل بطاريته ووصلا الى قبو محفور فى الصخور العالية . وتأمل سيمون المكان فاحصا بسرعته المعهودة ، وايقن ان اى صريخ لن يسمع فى الخـــارج . وان خروجه من هـــذا المكان يتوقف على عبقريته . وأمره سير شارل بالاقتراب .

وكان ممسكا بالبطارية فى يده اليسرى ، بينما ظل مصوبا مسدسه بيده اليمنى . وانحنى كروج وأمسك بحلقة حديدية ، وثبتها فى كعب القـــديس ، ولاحت للقديس الفرصة فى آن يسدد اليه ضربة بقدمه الاخرى فى وجهه . ولكن ذلك كان سيجعل سير شارل يضغط على الزناد ، وينتهى كل شىء . ولم يهتز سيمون ، وقال خصمه متهكما :

— سنرى ما اذا كان سلطانك السحرى سينقذك من هنا يا قديس !

فأجاب سيمون دون أن يفقد هدوءه : — من يدرى !

فصاح كليف :

ـ مرحى ! معنى ذلك انك تملك تكتيكا متقدما عن سابقك . فقد استحال عليه التخلص من أساوره.

وأشار الى حلقتى القيد التى أحاطت بكعبى سيمون الذى سأل :

ـ أتعنى هذا التعيس بوت ..؟

ـ ربما ..!

وضحك سيمون من جديد ، ضحكته التى تحير خصمه وقال :

ـ ها أنا ، الامير الظريف ، محل ذلك الذى ستجعل منه زوجا سعيدا يا سير شارل ..!

وكان الأخير يراقب سجينه بذهول ، فهو شخص غريب حقا ، شديد الخطورة ، وهو أولى بالقضاء عليه أولا وقال :

ـ سيقوم بوت بالدور الذى اريده ، وسيفعل ما أريده ..

وتوقف لحظة قبل أن يضيف ..

ـ وقد حزن هو الآخر ، واظهر جموحا عند وصوله الى هنا . ولكن بضعة أيام فى هذه المتاهة كفيلة بترويض اشد الطباع قسوة .

ـ انك متفائل يا عم شارل .. فاحرص على هذه الناحية السائدة من طبيعتك ... وستكون تلك هى امنيتى .. !

واكتفى كليف بهذا القدر من النقاش ، واتجه الى السلم ، فألقى اليه سيمون بعبارة لها مغزاها اذ قال:

ـ أطيب الذكريات لدافيد ، يا عم شارل .

وجمد الرجل ذو الشارب الابيض ، وعاد اليه القلق، وخيل له أن هذ الرجل هو الشيطان نفسه ! فعاد على قدميه قائلا :

ـ لماذا ذكرت دافيد ..؟
ـ فكر ايها العم الطيب .
ـ اين قابلته
ـ اســـأله ..
ـ هل تكلم معك ..؟
ـ سيجيبك هو نفسه .

وعصف بكليف غضب أعمى فى هذه اللحظة ، وكتم سبابا تردد بين شفتيه ، وود أن يرتمى على هـــذا السجين ، وأن يضربه بكعب المسدس ، حتى يعترف بمعلوماته . ولكن ما الفائدة الآن ، فهو سجين فى قبضته ، ولن يتمكن تمبلار من الهرب ، وعندما تنتهى عملية ويندى ، سيعود لتصفية الحســـاب مع هذا الرجل ، وينتزع منه ما يعرفه عن دافيد .. دافيـــد هذا الابن الذى يبدو ان القدر جعل منه عدوا ، دافيد الذى يلوح انه تحالف مع بوت ، وربما مع القديس نفسه ..

الفصل الرابع عشر

يا لها من ليلة !..

هادئة ، أو مضطربة ، عذبة أو محمومة .

وكانت ويندى راقدة فى سريرها ، بينما كانت الكوة التى تعلو النافذة تعكس الظلام الذى يسود البحر الابيض . واستغرقت ويندى فى أحلامها . وكانت قد بقيت مستيقظة طويلا عقب زيارة عمها ، ثم غزاها النوم بالتدريج ، وراحت فريسة لحلم عجيب .!

رأت فى منامها فتى أحلامها ، الامير الجميل يركب شعاعا قمريا ، متحديا الظلام ، والارواح الشريرة ،

مقبلا فى شجاعة وجراة ، يحمل باحدى ذراعيه سلاحا وهاجا ، وبالاخرى قاذفة جبارة ، جديرة بازالة كل السحر الذى ألقاه السحرة . وكانت له ملامح سيمون، وبسالته ، وجاذبيته . واحست ويندى نحوه بشعور غــريزى . وكانت الفتـــاة قد حفظت من القصص الخرافية التى تقراها عليها الآنسة هورتنس ، وتعيد قراءتها طوال النهار العبارة التالية : « وتبادلا الحب ، وعاشا فى سعادة » . وكانت تجهل المعنى الحقيقى لهذه الكلمات : ولم تكن تدرك فى هذه اللحظة ، وهى نائمة ، أكثر من ان الامير سيمون فارس جميـــل ، شجاع ، جذاب ، لا يقهر . وكان ذلك بالنسبة لها هو الحب ، بشرط أن يستمر الحلم طوال الليل ..!

أما حلم سيمون تلك الليلة ، فكان واقعيا ، مجردا من اللذة : كان يتعارك مع الفئران ، التى فتحت شهيتها على بشرة سلفه بوت فى المتاهة ، فضاعفت همومها ، وقرضت أسفل بنطلونه ، وتسلقت سيقانه ، وكانت تجرى ، وتتصارع وتصرخ ، بينما كان تمبلار يدافع عن نفسه بقدميـــه ، يســـددهما الى أنوفهمـــا .

اما سير شارل كليف فقد استعصى عليه النوم ، وطارت منه الاحلام السعيدة رغم انه لم يكن فريسة للفئران . واستغرق فى تفكير طويل ، يزن كل اشارة ماضية ، وكل قرار اتخذه ، مراجعا نفسه فيما اذا كان قد أغفل شيئا . وبالرغم من أسره للقديس ، وسيطرته على أشد خصومه خطرا ، فقد ظل مؤرقا ، يقض القلق مضجعه .

وانبلج الصباح عن طقس بديع ، وشمس مشرقة ترسل أشعتها الذهبية على مياه البحر .

وكانت ويندى أول من استيقظ فى قصر سورسيلو ،

فنهضت وصففت شـــعرها الذهبى ، واتجهت الى الشرفة الضيقة . التى تطل من فوق التراس . ولاح لها استحالة مرور الامير سيمون من هذا الطريق خلال اللـــيل ..

ومنت نفسها باحداث هامة اليوم ، فقد بلغت عامها الحادى والعشرين ، وكانت لا تدرك كنه هذه الاحداث، ولكنها كانت متأكدة من وقوعها .

ولبثت طويلا ، مستندةبذراعها على السياج الحجرى للشرفة ، متأملة موج البحـــر الذى كانت الشمس تداعبه ، مرسلة ذراتها الذهبية . ولاح لها أن الامير سيمون قريب منها ، وانه على وشك الظهـــور من جديد . وجفلت عندما سمعت صوتا يقول من خلفها :

ـ صباح الخير يا ويندى ، وعيد ميلاد سعيد !

والتفتت خلفها ورأت المربية تدخل حاملة صـــينية الافطار . وكانت مقطبة الجبين ، فبالرغم من تلطفها فى الحديث ، الا أن ذهنها كان لمتيقظا بعد تحـــذير كروج ، فقد سخرت هذه الطفلة من الجميع ! فأخفت مقابلتها مع القديس ، ولن نسمح لها بمثل هذا العبث. وسألتها :

ـ ماذا حدث يا ويندى ..؟

ـ لا شىء .

ـ تلوحين مهتاجة الشـــعور ، كأنك ســـتطيرين بأجنحتك مثل العصفور .

ـ كلا .. كنت أتأمل البحـــر ، والشمس ... فالطقس بديع ، وقد فوجئت بدخولك الى الغرفة .

ـ حقا ..؟ أراك تحلمين كثيرا فى هذه الآونة يا ويندى .. أواثقة أنت انك لا تخفين عنى شيئا ..؟

ــ ماذا تعنين يا آنسة ..؟

ــ عجلى بالفطور . اذ ينبغى أن تكونى متأهبة بسرعة .

وفتحت ويندى فمها وهى تفكر فى البلاج ، والسباحة، فلعل الامير سيمون يظهر هناك . وقرأت المربية أفكارها فقالت لها :

ــ لا سباحة اليوم .. هيا اسرعى ..!

وتطلعت الفتاة الى المربية بدهشة ، وقد أحست بتولد شعور مختلف عن الايام السابقة ، منذ قدوم سيمون .

وفى هذه اللحظة كان الطابق الارضى مسرحا لمشهد غريب . فقد تحولت الغرفة المتصلة بالمكتبة الى ما يشبه غرفة النوم ، فوضع فيها سرير من النحاس، ووقف سير شارل يفحصه محدثا نفسه .

ــ رائع ! ولابد من أن يلتزم صاحبنا الحكمة هنا .

وفتح الباب ودخل بوت يتبعه كروج ، وكان الشاب قد اغتسل ، وصفف شعره وارتدى ثيابا لائقة ، ولكن خديه ويديه كانت تحمل أثر عض الفئران .. وأظهر يديه الموثقتين متسائلا :

ــ لماذا أقيد يا سير شارل بهذه الطريقة ؟ لقد طلبت من كروج أن يدعنى طليقا فرفض زاعما أن هذه هى اوامرك .

ــ هذا صحيح .

ــ لماذا ؟ لقد أقسمت لك أن افعل كل ما تطلبه منى .

ــ أعرف ذلك ، ولكنه ليس كافيا للدور الذى ستقوم به .

— أى دور ..؟

وعبر وجهه عن القلق الحقيقى ، فقد كون فكرة عن حقيقة ذلك الرجل وقسوته ، وأجاب سير شارل :

— دور من يجتاز مرحلة النزاع الاخير .

وقطب بوت حاجبيه الشاحبين ، ودفعه كروج صوب السرير ، ولجلج السجين بشفاه مضطربة :

— النزع الاخير .!

— نعم . يجب أن يكون التمثيل متقنا ، وألا يشك احد فى أنك تحتضر فى آخر ساعاتك .

— لا أفهم .

— ومع ذلك فالامر واضح .

واخرج سير شارل حبلا طويلا من النايلون الرفيع ولفه حول وسط بوت الذى حاول الصياح ، فوضع كروج راحة يده الثقيلة على فمه ، وقال سير شارل :

— كف عن المقاومة يا عزيزى ! اننا لا ننوى بك شرا ، ولكنه مجرد مزاح .

وقال بوت بعد أن تحرر فمه ، وهو يرتعد :

— أى مزاح وانت تقيدنى ! ما أشبهنى بمومياء مصرية اذا تابعت اجراءاتك ، ففسر لى الامر :

— يجب أن تتظاهر بأنك تحتضر ! هل فهمت ..؟

وكان الحبل قد لف حول كعبى بوت وركبتيه ، وقيده على السرير ، وأخيرا التف حول عنقه ، فقال بوت :

— انك تخنقنى ! .. لم اعد استطيع التنفس ..

وجذب سير شارل طرف الحبل الرفيع . وعبرت أساريره عن القسوة التى لا حد لها وقال :

ــ اصغ الى : انك مقيد الان وعاجز عن الحركة ، وقد تموت فى لحظة .

ــ لا اريد ...

ــ لا تنس اننى استطيع ان انقلك من حالة الاحتضار الى الموت . فسيمسك كروج بالحبل ، وسيجذبه بناء على اشارة منى .. هل فهمت أخيرا .. ؟

ــ نعم ... نعم ...

ــ حسنا .. الشىء الوحيد الذى يمكنك أن تنطق به ، أو على الأصح أن تلجلج به هو كلمة : نعم بصوت الرجل المحتضر . واذا حاولت النطق بكلمة أخرى ، فلن تتجاوز المقطع الاول ، اذ سيجذب كروج الحبل الملفوف حول عنقك .

والتفت الى خادمه الذى كانت أساريره البهيمية تنم عن الاستمتاع وقال :

ــ آتنى بالاغطية ، اذ يجب أن يكون السرير محكم الترتيب .

ــ سمعا وطاعة يا سيدى .

وهم سير شارل بالانصراف ، فاستوقفه بوت بأنينه :

ــ لا تذهب ! اشرح لى لماذا ينبغى أن أقول نعم .. ؟ ولمن .. ؟

ــ لماذا يا بنى .. ؟ لأنك ستتزوج . ولمن هذه الاجابة .. ؟ للعمدة . وأنا ذاهب لاستدعائه الى هنا الان .

وانصرف كليف ، وصعد الى الطابق العلوى ، وسار الى غرفة ابنة أخيه متمهلا ، بخطا ثابتة ، راسخة ، فان قدره فى الطريق اليه .. !

ودخل الى الغرفة وقبل الفتاة بحنان قائلا :

ـ تمنياتى يا عزيزتى ...

ـ شكرا ياعمى شارل !

وتأملها ، متظاهرا بالحنان ، والعطف ، وجلس على مقعد وجذبها نحوه ، واكسب نظرته الشاحبة عذوبة وقال :

ـ لماذا لم تخبرينى يا ويندى .. ؟

فأجابت بوداعة : عن اى شىء .. ؟

ـ عن زيارة الامير الجميل .

ـ كان يلوح لى ...

فهدأ من روعها ، متجنبا زجرها ، متظاهرا بأنه موافق على وجهة نظرها وقال :

ـ نعم يا عزيزتى ... كان الامر فى نظرك سرا كبيرا . كنت مصيبة فى ظنك أنه لا ينبغى الكلام .

فقالت وقد اطمأنت ، وابتهجت :

ـ أليس كذلك يا عم شارل ؟ فلو تكلمت ، لحدث مكروه .

ـ تماما يا ويندى . ولم يخطر ببالك انه يجب اشعارى بسبب الشبكة السحرية .

ولاح الرعب فى عينى ويندى ، وارتسمت على شفتيها كلمة « الشبكة » ...

ـ نعم ... وأنت على علم بأننى توصلت بفنى الى احاطة قصر سوسيلو بشبكة سحرية بقصد حمايتك من الارواح الشريرة ، ومن السحرة . ولم يحم الامير نفسه عند اجتيازها .

ـ لقد حضر الى هنا ، وتحدثت معه !

واحست كارابوس بالسعادة عندما أستولت عليه .

فتمتمت الفتاة ، وقد عادت الى مملكة الجان ، والسحرة الذى غرسها فيا الثلاثى منذ طفولتها :

ــ يا الهى ! ... هل أمسكت به كارابوس .. ؟

فقال عمها متنهدا بصوت غريب يثير الرعب فى نفس الفتاة :

ــ نعـــــم .. واحتفظت به الوقت الكافى ليأتى السحر مفعوله .

وكررت ويندى : السحر .. ؟

وبرقت عينا كليف الباهتتان ببريق القســـوة ، وكانت ويندى عاجزة عن فهم سر هذه النظـــرات . وقال :

ــ لقد حبست كارابوس ، أميرك فى جسم الشيطان الذى أسرته انا بنفسى .

وهز رأسه وهو يرى الى أى حد تتقدم خطَته ، اذ عبرت أسارير ويندى عن القلق . وتابع حديثه :

ــ ليس هذا هو كل ما حدث .. فببطء شديد ، مسخ الشيطان نفسه الى صخر ... وهو الان نصف حجر ، ولن تصبح له اى قيمة هذا المساء أكثر من حجـــر .

فصاحت الفتاة : كلا ! لا ينبغى بأى حـــال . فلا شك أن هنـــــاك ما يمكن عمله . اليس كذلك يا عمى ؟ أسرع وخبرنى بما يمكن أن نفعله . انقذ فتاى الجميل ... اتوسل اليك .

ــ ولهذا جئت اليك يا عزيزتى ويندى . فليست هناك الا وسيلة واحدة لانقاذه من هـــذا المصير . يجب أن تتزوجيه فورا ... نعم ، قبـــل أن يتحجر قلبه ، ويتحول الى صخر ، وبذلك تتحول مجـــرى

الامور ، ويتحول القدر الذى فرضته عليه الساحرة

ــ هيا اذن ! سأتزوجه . فلنسرع يا عم شارل

وكان كليف يراقب حركاتها : فقد ألقت الفتا بنفسها فى الفخ المنصوب لها ، دون مناقشة ، وقا لهـــا :

ــ كنت واثقا من استجابتك ، يا ابنتى الشجاعة ولذلك طلبت من حاكم القرية المجـاورة تليفونيـ الحضور . وسيصل الى هنا بين لحظة واخـــرى ليتولى عقد الزواج .

فقالت وهى تشبك يديها :

ــ رائع ! وبهذا أكون أنا الذى أنقذت فتى أحلامى ثم يتولى هو خلاصى الى الابد من كارابوس .

ــ ليس هذا هو كل شىء . اريد أن تتجملى الى اقصى حد لهذا الاحتفـــال ، يجب أن يراك الامير عندما يستعيد وجهه والحياة فى اشراق الشـــباب وفتنته . وقد خرجت هورتنس مبكرة اليوم واحضر لك كل ما يعوزك .

وفتحت المربية على الفور علبة من الكارتون كانت قد دستها بالقرب من الباب ، واخرجت منهـــا ثوب العرس ، والتاج ، وكل مســـتلزمات العـــروس وقفزت ويندى فاحتضنت عمها بين ذراعيها ، والصقت وجهها بوجهه ، وتطلع سير شارل من فوق رأسها وتبادل الغمز بالعين مع المربية ، فقد اصبحت العملية سهلة مضمونة .

وقال لويندى :

ــ جهزى نفسك يا ابنتى ، وسأذهب للبقاء بجانب

واحست كارابوس بالسعادة عندما استولت عليه .
فتمتمت الفتاة ، وقد عادت الى مملكة الجان ، والسحرة الذى غرسها فيا الثلاثى منذ طفولتها :
ــ يا الهى ! ... هل أمسكت به كارابوس .. ؟
فقال عمها متنهدا بصوت غريب يثير الرعب فى نفس الفتاة :
ــ نعـــم .. واحتفظت به الوقت الكافى ليأتى السحر مفعوله .
وكررت ويندى : السحر .. ؟
وبرقت عينا كليف الباهتتان ببريق القســوة ، وكانت ويندى عاجزة عن فهم سر هذه النظــرات . وقال :
ــ لقد حبست كارابوس ، أميرك فى جسم الشيطان الذى أسرته انا بنفسى .
وهز رأســه وهو يرى الى أى حد تتقدم خطته ، اذ عبرت اسارير ويندى عن القلق . وتابع حديثه :
ــ ليس هذا هو كل ما حدث .. فببطء شديد ، مسخ الشيطان نفسه الى صخر ... وهو الان نصف حجر ، ولن تصبح له اى قيمة هذا المساء أكثر من حجــر .
فصاحت الفتاة : كلا ! لا ينبغى بأى حــال . فلا شك أن هنـــاك ما يمكن عمله . اليس كذلك يا عمى ؟ أسرع وخبرنى بما يمكن أن نفعله . انقذ فتاى الجميل ... اتوسل اليك .
ــ ولهذا جئت اليك يا عزيزتى ويندى . فليست هناك الا وسيلة واحدة لانقاذه من هــذا المصير . يجب أن تتزوجيه فورا ... نعم ، قبــل أن يتحجر قلبه ، ويتحول الى صخر ، وبذلك تتحول مجــرى

الامور ، ويتحول القدر الذى فرضته عليه الساحرة .

ــ هيا اذن ! سأتزوجه . فلنسرع يا عم شارل !

وكان كليف يراقب حركاتها : فقد القت الفتاة بنفسها فى الفخ المنصوب لها ، دون مناقشة ، وقال لها :

ــ كنت واثقا من استجابتك ، يا ابنتى الشجاعة . ولذلك طلبت من حاكم القرية المجاورة تليفونيا الحضور . وسيصل الى هنا بين لحظة واخرى ، ليتولى عقد الزواج .

فقالت وهى تشبك يديها :

ــ رائع ! وبهذا اكون انا الذى أنقذت فتى احلامى، ثم يتولى هو خلاصى الى الابد من كارابوس .

ــ ليس هذا هو كل شىء . اريد أن تتجملى الى اقصى حد لهذا الاحتفال ، يجب أن يراك الامير ، عندما يستعيد وجهه والحياة فى اشراق الشباب وفتنته . وقد خرجت هورتنس مبكرة اليوم واحضرت لك كل ما يعوزك .

وفتحت المربية على الفور علبة من الكارتون كانت قد دستها بالقرب من الباب ، واخرجت منها ثوب العرس ، والتاج ، وكل مستلزمات العروس ، وقفزت ويندى فاحتضنت عمها بين ذراعيها ، والصقت وجهها بوجهه ، وتطلع سير شارل من فوق رأسها ، وتبادل الغمز بالعين مع المربية ، فقد اصبحت العملية سهلة مضمونة .

وقال لويندى :

ــ جهزى نفسك يا ابنتى ، وسأذهب للبقاء بجانب

الامير . وسأحاول ان اطلعه على ما يعد من أجله ، واطمئنه على نفسه .

* * *

مع انبلاج الفجر ، تسرب ضوء خافت الى السجن المظلم ، وجال القديس ببصره حوله ، ولم يكن قد حاول شيئا خلال الليل سوى العراك مع الفئران ، وبحلول الفجر ، حان وقت العمل .

وكانت السلاسل التى تقيده الى الصخور تستعصى على أى مجهود ، وبقى القيد نفسه ، ففحصه بانتباه باحثا عن أى عيب فيه ، ولاحظ أنها صدئة . فخلع أحد نعليه ، وأزاح الفرش الذى يغطى النعل السميك ، وأخرج من مخبأ فيه منشارا صغيرا للمعادن ، وتمتم بصوت خافت مبتسما :

ــ لابد أن روبير الشهم قلق .. ولا سيما على زورقه !" وعلى أى حال فاننى لا أستطيع انتظار قدومه .

وأمسك بالمنشار .

الفصل الخامس عشر

كان روبير ديفار قد بدأ يقلق حقا ، فبالرغم من أن غياب سيمون كان طبيعيا بالنسبة لما هو معروف عن القديس ، الا انه كان مهموما . وسأله البحار ، الذى كان يقوم بمهام كثيرة فى الفندق :

ــ لم يعد الزورق ، فهل نفعل شيئا .. ؟

ــ كلا . فقد حذرنى صديقى سيمون من ذلك ، ولعله احتجز .

ــ ولكن صاحب القصر رجل شرير ، ولن يتورع عن اهلاك صديقك .

ــ ليس ذلك بالامر السهل ، فليس شيمون سهل المنال ..

ــ واضطر صاحب الفندق الى الاعتصام بالصبر، بينما كان القديس جالسا ، على الارض الصخرية بهدوء ، ينشر القيد المحيط بكعبيه .

وكانت ويندى ، فى نفس هذا الوقت ، قد ارتدت ثوب العرس ، وقالت لمربيتها :

ــ اسرعى ياآنسة ، فالثوانى معدودة ... الم تسمعى ماقاله عمى !

ــ لم يمت فتاك ! كما أن الحاكم لم يحضر بعد .

ــ آمل أن يحضر بين لحظة وأخرى ، فقد أخبره عمى ... وتصورى لو وصل متأخرا ، وتحول الامير الى حجر ! ان منظره لابد أن يكون بشعا الان وهو فى شكل شيطان .. !

ــ انك محظوظة يا ويندى ! فلولا عمك الطيب ...

ــ حقا ... لقد أظهر عمى شارل طيبته مرة أخرى .

وأخذت تدور حول نفسها بفرح الشباب ، مستعرضة ثوبها الابيض الجميل وهى تقول :

ــ وسيعود الى الامير جماله ، وسيسبب ذلك الفرح له ، ولى .

وهزت المربية منكبيها خلسة ، فقد كانت ملاحظات ويندى تدق أعصابها ، فقد ساهمت هى فى جانب كبير من هذه التربية الطفولية الساذجة . وصاحت ويندى :

ــ اسرعى .. ! احضرى تاجى .. ! ونقابى . !

وكان بوت راقدا تحـت الاغطية ، عاجـزا عن الحركة ، كالحجر الذى تحدث عنه السير شارل . والى جانبه كروج الذى يمثـل دور المرض ، وهو يجذب الحبل من وقت لاخر قائلا :

ــ يكفى أن أجذبه هكذا ليخـرج لسـانك من حلقك . !

وفتح الباب ودخل السير شارل ، وكان قد أبدل ثيـابه ، هو أيضا ، فارتدى بذلة غامقة ، واعتنى بأناقته، واسرع اليه خادمه مستفهما بعينيه ، فأسر اليه سيده :

ــ كل شىء على ما يرام ، فقد صدقت الحكاية ، بأسهل مما كنت أتصور .

واقترب من السرير ، واسـدل الغطـاء بحيث لا تظهر الا راس بوت ، وقال له :

ــ اياك وان تأتى بحركة خرقاء . فان حيـاتك تتوقف على هذا الثمن !

ولجلج الآخـر : ولكن . . . ماذا بعـد أن اتزوج ابنة أخيك . . .

ــ لا تشغل نفسك الان . . . وما عليك الا أن تقول : نعم .

وسمعت ضجة خفيفة فى الصالة ، وفتح سـير شارل الباب ، ونزلت ويندى السلم وهى متشحـة بالثوب الابيض وصاح سير شارل :

ــ كم أنت جميلة يا ويندى ! لقد كنت صبية منذ ساعة ، وها انت قد اصبحت فتاة .

فابتسمت بسـعادة ، وعلت الحمرة وجههـا وصاحت :

ــ نعم . وساتزوج فى نفس اليوم الذى ابلغ فيه الواحد والعشرين عاما . ولم اكن أتوقع أسعد من ذلك فى يوم عيد ميلادى ... ثم اننى سأتحرر .. !

وقال سير شارل يحد من فرحتها :

ــ مهلا يا ويندى ! تذكرى أن فتى احلامك لم يعد يحتفظ بشكله الذى عرفته به .

ــ اعرف ذلك فقد أخبرتنى بأنه يتقمص الان جسم شيطان .

ــ المعرفة والرؤيا شيئان مختلفان . وعندما ترينه، ستشعرين بصدمة عنيفة ، فاستعدى للمفاجأة .

وامسك بذراعها ، وقادها بتؤدة الى الغرفة ، ومن خلفهما المربية ، التى كانت تخفى ابتسامة بشعة ، فقد كانت تحكم على تلك الفتاة بالغباء ، وبأحقيتها فى البقاء فى ملجأ للمخبولات ، فاذا بها تزف اليوم فى ثياب الاميرات ، بين مظاهر الابهة والفخامة .

ودفع كليف الباب ، وقاد ويندى الى مقربة من السرير ، حيث كان بوت مقيداً ، ولم تشك الفتاة لحظة فى أن فتى أحلامها مقيد تحت الغطاء الذى يغطيه حتى ذقنه . وكانت الاوضاع الشاذة تبدو طبيعية لهذه العقلية التى عاشت فى عالم الاساطير، ودنيا السحر ، وصاحت :

ــ أوه ! أليس ذلك شنيعا ! ... يا لتعاستك يا سيمون !

ومدت يدها ، فمنعها سير شارل قائلا :

ــ تجنبى لمسه بأصابعك ، والا أصابك نفس السحر . ولا تحاولى حمله على الكلام ، فان أقل مجهود يسرع بعملية تحوله الى حجر .

وكان بوت يتطلع بذهول ، متأملا ويندى ، وكان

يدرك المهزلة الشنيعة التي تمثل منذ زمن طويل . ولكنه كان يرفض التفكير فى العـــواقب ، فان اطلاق سراحه يتوقف على هذا الثمن .

وتابع كليف حديثه :

ـ ان سيمون العزيز بحاجة الى كل قواه للاحتفال. وتذكرى يا ويندى أن فتاك يتقمص الان جسم شيطان، وان لهذا الشيطان اسم هو : بوت ... أوزوالد بوت . فلا تأخذك الدهشة .

فهزت منكبيها وقالت :

ـ وماذا يهم الاسم ، او المظهر ! ليس لى الا هدف واحد ، هو انقـــاذه من السحر الذى ضرب حوله !

ـ تماما ....

وبعد لحظات سمع قرع جرس القصر . واشار كليف الى الانسة هورتنس فاتجهت الى الصـــالة وأعلن هو :

ـ هذا هو العمدة ، وقد حافظ على موعده .

وتتبعته ويندى ببصرها ، وانتهز كزوج الفرصـــة فجذب الحبل الذى يخنق بوت التعيس ، فتـــأوه ، والتفتت اليه الفتاة وتمتمت :

ـ هل تتألم يا سمو الامير .. ؟

ولم يرفع الخادم نظره عن الســـجين الذى أجاب ويندى بخفق مقليته ، فابتسمت له محاولة زرع الثقة فى نفسه . وفى هذه اللحظة فتحت الانسة هورتنس الباب ، ودخل رجل مهيب يتبعه رجل طويل ، هزيل يحمل تحت ابطه سجلا ، وتقدم ســير شارل .

وفى هذه اللحظات كان صوت المنشار يدوى رتيبا فى السجن الصامت ، ولم يشغل القديس باله بما يدور فى القصر بل انصرف عن التفكير فى أى شىء الا التحرر من قيده بأى ثمن ، وبعد ذلك يقرر خطته .

وكسر القيد محدثا صوتا محدودا . وتنفس سيمون الصعداء ، واخذ ينشر القيد الاخر الذى يقيد قدمه الثانية ، وكان يتوقف احيانا ، ويستمع خشية ان يفاجئه السير شارل ، او الخادم ، ولكن الصمت كان يسود المكان ، فاستمر فى عمله .

وفى الغرفة المتصلة بالمكتبة وقف السير شارل يقول للعمدة :

ـ مرحبا بك يا سيدى .

وقال الضيف وهو يتصبب عرقا :

ـ يا لشدة الحر . ! كدنا نذوب فى الطريق .. ولحسن الحظ ان اوليفار ليس سمينا !

وأشار الى تابعه وأضاف :

ـ اقدم لك السكرتير ، حامل السجل .

ـ شكرا يا سيدى ، فقد شرفنى حضورك .

فقال العمدة ضاحكا :

ـ هذه فرصة نادرة لعقد زواج رجل يحتضر .

ثم هرش عنقه وقال :

ـ لقد اعترتنى الدهشة عندما علمت باعتزام هذا الرجل المحتضر على الزواج بابنة اخ فخامتكم ... وقلت لمارى ...

فرفع سير شارل يده قائلا :

ـ معذرة ، فان صاحبنا المسكين قد يلفظ أنفاسه

الاخيرة من لحظة الى أخرى . والافضـــــل ان تقـــرأ ...

ومد اليه يده بورقة كانت جاهزة فى جيبه وقال :

ــ هذه شهادة من الطبيب البروفيسير مارسكار.

فهز الحاكم راسه وقال :

ــ انه ذو موهبة عظيمة ....

ــ للاسف ، لم يعد هناك امل : اقرأ من فضلك .

وامسك العمدة بالشهادة باحترام ظاهر : وكان يملك محل بقالة متواضع فى القرية ، ويحصر نشاطه بين ادارته . وبين مناسبات الافراح القروية ، اما ان يعقد زواج رجل يحتضر ، فتلك مغـــامرة كبرى بالنسبة له ! وناول الوثيقة الطبية لسكرتيره قائلا :

ــ هل رأيت يا أوليفـــار ! ربما مات المسكين قبل نهاية النهار !

وهز عم ويندى راسه بابتسامة حزينة وقال :

ــ من هنا يا عمدة ... سأريك الطريق .

وفتح باب الغرفة ، والتفتت ويندى الى القادمين، فقدمها عمها ، واخذ العمدة يلجلج ، وهو يخلط بين عبارات التهنئة ، وعبارات العزاء ، وهو يتعجب من هذه الفتاة الرائعة الجمـــــال التى تتزوج بشاب سيموت فى نفس اليوم .. !

وكان يختلس النظر الى السرير ، ولم تكن أسارير بوت الشاحبة ، وضعفه الظاهر ، وسحنته ، تدع اى مجال للشك ... وقال :

ــ يا للمسكين ! ... أعد لى السجل يا أوليفار قبل فوات الاوان . وأين الاوراق يا سير شارل ..؟

وأجاب الاخير ، وفرحه يتزايد :

ـ الاوراق تحت تصرفك على الطاولة .

ودس العمدة يده فى جيبه واخرج حزاما ثلاثى اللون وعقده حول بطنه ، وقال كمن يعتذر :

ـ هذه هى العادة فى فرنسا .

* * *

كسر القيد الثانى بدوره ، ونهض سيمون ، وقام ببعض التمرينات ليسترد قدرته على الحركة ، واستعاد مرونته بالتدريج ، والقى نظرة على مصدر الضوء النهارى الذى تسلل من فجوة فى الصخرة ، ولم تكن كافية ليخرج منها فتسلق درجات السلم حتى وصل الى الباب الخشبى السميك ، وكان مقفلا من الخارج . وتعقدت مهمة سيمون ، ولكن ذلك لم يثبط عزيمته ، فتناول المنشار ووضعه بين الحائط وترباس الباب وأخذ ينشر داعيا ملاكه الحارس أن يوفقه .

* * *

انتهى العمدة من قراءة مواد القانون ، واختنقت الكلمات فى حلقه وهو ينطق العبارة التالية :

« تلزم المرأة باتباع زوجها الى أى مكان يختاره للاقامة به » ...

وتغلب على هذا الحرج وانهى مراسيم الزواج وانحنى على الرجل المحتضر ، وامسك بيده قائلا :

ـ أهنئك يا مسيو بوت .. واتمنى لك الشفاء العاجل ، من أجل زوجتك الجميلة ، الظريفة .

وخفقت مقلتا بوت ، الذى خضع لاوامر الرجل

الذى قرره ، فلم ينطق بكلمة واحدة ، أو يأتى بأية حركة ، فان هدفه الوحيد أن ينصرف هذا العمدة ، ويفك أسره .

واشار العمدة الى سكرتيره قائلا :

ــ اقترب يا أوليفار بالسجل ... ودعه يوقع .

ووقع بوت باسمه فى نهاية العقد ، ثم جاء دور ويندى فوقعت وهى تتأمل « الامير » ، وقد تحول الامل الكبير الذى كان يملأ نفسها الى قلق متزايد .

وقال سير شارل مخاطبا العمدة :

ــ تفضل من هنا يا سيدى . ولندع هذا الشاب العزيز يستريح فى هدوء ، وسنتم الاجراءات فى الغرفة المجاورة .

واتجه الى المكتبة ، وقدم أوليفار السجل الى كروج والانسة هورتنس ليوقعا شهودا على العقد . وجذبت ويندى عمها جانبا وهمست فى أذنه :

ــ هل رأيت يا عم شارل .. ؟

ــ ماذا يا عزيزتى .. ؟ لقد أصبحت مدام أوزوالد بوت الان .. !

ــ لا يهمنى ذلك ! فأنا متزوجة من فتاى الامير .. ولكنه لم يتغير ، فهو يحتفظ بشكل الشيطان .

ــ صبرا يا ويندى . فان حبك سيعيده من عالم السحرة ، وهذا يقتضى بعض الوقت .

ــ ومع ذلك ...

ــ أكرر لك القول أنه ينبغى اتاحة الوقت لكى يفك السحر ...

ــ وهل لابد من أن أبقى بجانبه .. ؟

ــ كلا ! فان منظر العراك ، وعودته الى شخصيته

الاولى سيسببان لك انطباعا شنيعا . وسأستدعيك عندما يتم ذلك ، فاطمئنى واذهبى الى غرفتك .

ونادى هورتنس وقال لها :

ـ اصحبى الزوجة الى الطابق الاول ، ودعيها تبدل ثوبها .

وتصنع سير شارل التنهد ، وقال للعمدة بصوت خافت :

ـ يا لها منتجرية قاسية بالنسبة لابنتنا العزيزة !

وتطلعت اليه ويندى ، ثم الى العمدة وسكرتيره ، وأحست بأنها مضللة ، وهمت بالكلام ، ولكنها عدلت وانصرفت مع المربية التى أقفلت الباب من خلفهما .

وتمتم العمدة : يا لها من تعيسة .. !

واعاد قراءة العقد ، واطمأن الى أن كل شىء على ما يرام ، وهمس سير شارل فى أذن كروج :

ـ اهتم بأوزوالد يا كروج ، ولا تتركه وحده ، وتلطف معه فى لحظاته الأخيرة ...

ـ واصر على الكلمتين الاخيرتين ، وأشار الخادم بيده كأنه يجذب الحبل ، فهز سيده رأسه واضاف بصوت خافت جدا :

ـ لا تترك علامة ... ويكفى المسند ...

وانصرف كروج وعاد سيرشارل الى العمدة الذى كان يمسك ببطاقة وقال :

ـ اليك ببطاقة الزواج يا سيدى .

فناوله ذو الشارب الابيض مظروفا وقال :

ـ اليك هذا المبلغ للفقراء يا سيادة العمدة .

ـ شكرا .. شكرا ... هذا كرم زائد .

وانصرف العمدة ولكن كليف استوقفه فى اللحظة

الاخيرة ، وهو يضرب جبينه بيده قائلا :

ــ لقد نسيت ! ... أرجو أن تقدم لى خدمة ، فاننى لا استطيع مغادرة القصر الان للظروف الحالية ، فاذا شئت أن تلقى بهذا الخطاب فى البريد ...

ــ بكل سرور يا سيدى .

وقصد سير شارل الى خزينته واتى بالخطاب الذى عنونه باسم محاميه فى لندن ، والحق به شهادة الزواج ، وقفل المظروف وختمه بالشمع الاحمر .

وبعد لحظات كان كل شىء قد انتهى .

وتعقب كليف ببصره من النافذة الرجلين وهما يبتعدان .

وفتح الباب ، فاستدار ليرى كروج واقفا على عتبته ، وقد تدلت شفته اليسرى بشكل لم يسبق له مثيل ، وشع الخبث من عينيه فسأله سيده :

ــ هل من جديد .. ؟

ــ انتهى الامر ... وخمدت أنفاسه .

الفصل السادس عشر

كان سيمون يحدث نفسه وهو ينشر قفل الباب :

« كانت جدتى العزيزة تقول : « بالصبر يمكن ادخال فيل فى عش النمل » .

وحالفه الحظ هذه المرة ، فلو انه قام بهذه المهمة قبل ذلك بثانيتين ، لشعر سير شارل بذلك . وكان الاخير لحسن حظ القديس ، قد قصد الى المكتبة واستلقى على مقعده وقد عبر وجهه عن فرحة

الانتصار الذى احرزه وسأل خادمه :

ـ قص على ما حدث يا كروج .

ـ قلت لك يا سير شارل أن بوت لم يحاول المقاومة . فما ان وضعت المسند على وجهه وضغطت حتى لفظ انفاسه : وها هى مس ويندى ارمل منذ اليوم الاول . وهو أمر نادر الحدوث .

ـ هذا عمل قيم يا كروج . ولكنك لن تندم على تنفيذ اوامرى .

ـ معذرة ياسيدى ، ولكن كيف العمل للتخلص منه .. ؟

ـ باحتفال رسمى ... فقد شاهد العمدة بنفسه حالة العريس ، وسيسهل الحصول على شهادة وفاة من طبيب القرية ، وهو من مدمنى الخمر .

وهز الخادم رأسه فما زال هناك ما يقلقه ، فقال :

ـ وماذا عن مس ويندى ؟ ستمطرنا بوابل من الاسئلة .

واجاب سيد القصر بصوت خشن لا يدع مجالا للشك فى نواياه .

ـ سأعرف كيف أجيبها .

وصدق ظن كروج ، فان ويندى اخذت تشعر بضيق متزايد . فالى هذه اللحظة لم تشك قط فى كلام عمها ، وكانت تعزى اليه قوة غامضة فى العراك مع عالم السحرة والارواح الشريرة التى كانت تحيط بها منذ مولدها ، ولكن الحوادث الغريبة الاخيرة راعت انتباهها . ومنذ أن انبعث الامير سيمون من البحر أصبحت تنظر الى الاشياء بمنظار آخر .

وتذكرت الوجه البرونزى ، والنظرات النافذة ،

والابتسامة الجذابة ، ووعود سيمون ، وثقته فى النصر ، وانقاذها ، وقد اقسم على العودة والبر بوعده بعد أن اجتاز الشبكة السحرية التى تحيط سورسيلو ، ثم دخل القصر . ومنذ ذلك الوقت وهى تشك فى عمها ، وبالرغم من غموض شعورها الداخلى ، الا انه يزداد قوة ورسوخا .

وصارحت مربيتها بأفكارها بعد ان خلعت ثوب الزفاف فقالت لها :

ــ لقد اخبرنى عمى شارل بأن زواجنا سيحرر الامير من السحر الذى فرض عليه ، وحبسه فى جسم « بوت » القبيح ، ولكننى لم اشهد اى تغيير . فلماذا كان الزواج اذن ؟ هل تذكرين الحسناء فى الغابة النائمة ، فعندما انحنى الامير عليها ، قبل شفتيها ...

ــ اصبرى ، فقد قال عمك ان هذا لا يتم فى دقيقة واحدة . فعندما يتحول انسان الي حجر خلال ساعات طويلة ، كيف يعود بشرا فى دقيقة واحدة ؟

ــ لماذا لا ؟ فالسحر قادر على كل شىء .

وأخذت تذرع الغرفة ، جيئة وذهابا ، وتتطلع الى الافق ، معبرة عن استيائها المتزايد . وتبلبلت المربية وهى ترى الطفلة البلهاء قد غدت فتاة ناضجة ، بل امرأة ذكية . فأجبرتها على ارتداء الروب دى شامبر ، ودفعتها الى السرير قائلة :

ــ تمددى ونامى ، فسيريح ذلك أعصابك .

وأسرعت هورتنس بالخروج للحاق بسير شارل وتحذيره . وظلت ويندى راقدة وقتا طويلا ، مقطبة الجبين ، تفكر فيما يجرى حولها ، فكيف تنام فى

حين أن فتاها سجين فى جسم شيطان . واختلط فى ذهنها الخيال مع الواقع : الخيال الاسطورى الذى حاطها به عمها ، والواقع الحى الذى غرســــه فى نفسها سيمون . وحدثت نفسها بأنها يجب أن تفعل شيئا لانقاذ فتاها . وقفزت من السرير ، وخلعت الروب دى شامبر ، وارتدت ثيابها مسرعة .

وكانت الانسة هورتنس تتحدث مع سير شارل ، وكروج عن الفتاة ، وقال سير شارل :

ـــ سأقوم باقناعها بما أريد .

وسمع صوتا بالباب يجيبه : حقا !

وكانت ويندى قد هبطت السلم فى صمت ، دون ان يراها احد ، وسارت على أطرف أصابعهــــا ، وفتحت باب الغرفة التى يرقد فيها الامير ، لترى تحوله من الشيطان الى شخص سيمون الظـــريف الذى عرفته ، وراته راقدا جامد الحركة ، واقتربت منه ولمست يد ذلك الذى كان زوجها منذ قليل ، ولكنه لم يتحرك ، ولم يتحول الى حجر كما قيل لها ، واحست ببشرته مرنة ، دافئة ، وهنا سمعت صوت عمها وهو يقول :

ـــ سأقوم باقناعها بما أريد !

ففتحت باب المكتبة وصرخت . وغضب سير شارل وصاح بها :

ـــ ما هذا التصرف الغريب يا ويندى ؟ لقد أمرتك بالراحة و ...

فقالت دون أن تستمع اليه :

ـــ أردت أن أرى الامير ... زوجى ...

وضحكت بمرارة ، فلم يبق بهــــا أثر للطفولة

السانجة التى تملكتها وقتـــا طويلا .. وتابعت حديثهـــا .

ــ أطعت يا عمى ... والان تبين لى كذب كل ما رويته لى .. !

وادرك سير شارل الخطر المـــاثل ، وكان لابد من وقف النقاش فورا ، واقناع الفتاة ... واستمرت هى فى الحديث :

ــ لا تقل لى العكس فلن اصدقك بعـد الان ! لقد سخرتم منى جميعا طوال الوقت الذى عشـــته معكم .

ــ الزمى الصمت ، فأنت مجنونة .. او انك رايت حلما مزعجا .

ــ لست حالمة ، فقد نزلت دون أن تسمعونى ، ورايت بوت جامد الحركة على السرير ... وقد وضح كل شىء الان ! فقد جعلتنى أعيش فى عالم الاساطير الخرافية . فليس هنا سحرة ... كفى هذرا .. !

ــ الزمى الصمت .. !

ــ لن تحصل منى على الســـكوت ! ... واننى لاتساءل لاى غرض حشوت راسى بمثل هذه الاكاذيب ... لمـــاذا ضللتنى .. ؟ اننى واثقة الان بأن ذلك الرجل الذى زوجتنى به ليس هو سيمون ! .. الامير الجميل .. بل هو يسمى أوزوالد بوت .. . وهذا هو اسمه الحقيقى ... نعم ، هو بوت .

وحاولت المربية الامساك بهـــا ، واقترب كروج ولكنها تقدمت من عمها وقالت :

ــ لقد لمست يده ، والحقيقة انه مات ... فمن الذى قتله ؟ انت يا كروج قاتله .

ـ أدعوك الى الصمت ايتها الفتاة القذرة ! اهكذا تشكريننى على عطفى عليك ... انك تهذين بعد أن جن عقلك !

ـ انك رجل شرير ... قاس !

وصفع العم ابنة اخيه التى ظلت ذاهلة ، لا تصدق أن عمها قد صفعها ، وقال الاخير لشريكيه :

ـ امسكا بها !

ولم تحفل ويندى بالتهديد والوعيد ، بل تركز فكرها حول سيمون ، فما دام ليس بساحر ، أو شخصية خرافية ، فأين ذهب ، وسألته :

ـ اين سيمون .. ؟

فأجاب عمها ساخرا :

ـ فتى أحلامك ! ما دمت تشعرين بهذه القوة ، فناديه لنجدتك ، وسيصلك ممتطيا جوادا أسود ، قادما من السماء .. لقد فقدت الصواب يا ويندى ،

ـ لم أعد أصدقك ، وانا أعرف انك قتلت بوت ، فماذا فعلت بسيمون .. ؟

وتطلعت الى ثلاثتهم وهددت بقبضة يديها الصغيرتين مهددة بالانتقام ، والكفاح مثل سيمون وقالت :

ـ انتم الشياطين فى هذا القصر !

ـ انك متمردة ، وسوف تطيعيننى .

ـ لا تأمل فى ذلك !

ـ ستظهرين الطاعة والولاء مثل الماضى ، والا ...

وهزت راسها ضاحكة فقال عمها :

ـــ ستنالين عقابا لا يخطر على بالك اذا لم تطيعى يا ويندى .

ـــ هــل يظن ثلاثتكم انكم تخيفوننى ؟ لن أبقى فى فى القصر ، سأذهب الى العمدة وأروى له الحقيقة.. وعندما يعرف كيف سخرتم منه ...

وقفزت الى باب المكتبة المؤدى الى الصـالة ، فصاح كليف :

ـــ كروج !

فأمسك الخادم بالفتاة ، وقبض على يديهـا ، وجعلهما خلف ظهرها ، ودفعها أمام سير شـارل الذى قال ضاحكا :

ـــ بوسعك ان تتقدمى بالشكوى ، فلن يصـدقك احد . فأنت معتوهة فى نظر الناس ، عاجزة عن تمييز الحق من الباطل .

وارتجفت الفتاة وأحست بأنها ضائعــة بين يدى جلاديها وقال سير شارل لشريكيه :

ـــ يجب أن نجعل هذه الفتاة تلين ... كمـا لان بوت من قبل ، وستلين وتغير أفكارها اذا أقامت فى المتاهة بضعة أيام .

وتساءل كروج :

ـــ هل ستسجنها هناك ... مع القديس .. ؟

ـــ كلا ... سنتخلص منه أولا .

وارتفع صوت يقول فى هذه اللحظة :

ـــ يا لها من فكرة رائعة يا عم شارل !

وفتح الباب ، وظهر على عتبته القديس ، وهو يضع يديه حول وسطه بتحد ، وسيطرة !

الفصل السابع عشر

كان القديس قد نجح فى كسر الباب وتسلل الى الصالة ، واصاخ السمع هنا ، وهناك حتى سمع الحديث المتبادل فى المكتبة ، وأشرق وجهه بابتسامة عندما سمع ويندى الصغيرة تتحدى عمها الجلاد ، وشركاءه .

وألقى نظرة قصيرة على بوت وهمس فى اذنه :

ـ استيقظ يا بوت .

وهزه ولكن بوت لم يتحرك ، فأزال الغطاء وتبين أنه مقيد فقال :

ـ لقد استسلمت للخديعة يا بوت ، ووقعت فى الفخ ، وسأنتقم لك .

وفتح باب المكتبة فى اللحظة التى كان سير شارل يصرح فيها بالتخلص منه وقال له :

ـ فكرة رائعة يا عم شارل !

وصاحت ويندى :

ـ يا الهى ! هل أنت على قيد الحياة يا سيمون ..؟

ـ وهل تطرق اليك الشك ؟ ها انا لم اتحول الى حجر ، أو الى جثة هامدة مثل صاحبنا بوت !

ووضع كليف يده فى جيب جاكتته ، وازاح كروج الفتاة بخشونة ، وألقاها بين يدى المربية التى شدت على قبضتها بقوة ، وتقدم الخادم خطوة نحو سيمون الذى واصل الابتسام ، وقال للسير شارل :

ـ ما بالك حائرا يا عم شارل ؟ هل فاتك ان تنقل ترسانة أسلحة الى جيوب هذه البذلة الانيقة التى ارتديتها بمناسبة الاحتفال ..

وبرقت عينا كليف بالغضب وهو يتساءل عن المعجزة التى جعلت هذا الرجل الساحر يتحرر من

قيده الحديدى ، ويهرب من سجنه . وصمم على التخلص من القديس على الفور . وبخاصة .. امام ويندى التى اظهرت ابتهاجا .

وسأله سيمون :

ـــ أين هو مدفع البازوكا يا عم شارل .. ؟

ـــ لست فى حاجة اليه بالنسبة لوغد مثلك ... هيا يا كروج .

وكأنه كان ينادى كلبا ليقفز على رجل اقتحم بيتا خاصا .

وتقدم كروج الى الامام ، وشد قبضته ، ولكن سيمون كان أسرع منه ، فالتقط من مجموعة الاسلحة المعلقة على الحائط سيفا ثقيلا من العصور الوسطى ، وتأهب للدفاع عن نفسه وقال مازحا :

ـــ والآن أيها النذل ... اى قطاع من بدنك ينبغى أن أقطعه .. ؟ الجبين ؟ أم الخد .. ؟ ..

ونهض سير شارل وامسك بسيف هو الاخر وقال :

ـــ فلنتبارز نحن الاثنان يا قديس ! فأنا اعرف اى قطاع من جسمك سأقطعه ! وسأترك لك أثرا دائما .. اذا تمكنت من الخروج من القصر !

وطرب القديس ... فقد بدت المعركة بمبارزة .. ولمعت عيناه ، واشرقت ابتسامته ، وقال كليفم لشريكيه ؟

ـــ ابعدوا ويندى ، فلعل جنونها يسوقها الى التدخل .

ـــ وستكون تلك خسارة يا عم شارل .. أليس كذلك ؟ وسنرى اذا كنت مبارزا ممتازا .. ؟

والتقى السيفان فى حدة وتابع سيمون مزاحه :

ـــ انك تستعمل السيف مثل المسواك يا عم شارل !

لماذا لا تستدعى كارابوس ؟ لقد كنت اظنك على صلة طيبة بعالم السحرة ، والشياطين ...

ــ سأريك اننى لست بحاجة الى السحر لاغرس سيفى فى صدرك .

وصرخت ويندى : ــ حذار يا سيمون !

وكان كليف قد هجم بقوة على سيمون الذى بدد الهجوم وقال مبتسما :

ــ اطمئنى يا عزيزتى . فان السحر الاسود لا ينال منى بالرغم من جهود العم الطيب ... هلم يا شارلوت ... ماذا تنتظر .. ؟ أمن هنا المخرج !

وتنحى سيمون بمرونة ، وفقد كليف توازنه ، ولكن سرعان ما عاد الى الهجوم . وصاحت ويندى :

ــ سيمون ! ان كروج خلفك !

وكان كروج يحاول الانقضاض على القديس ، الذى هوى بسيفه خلفه ، ولولا أن انحنى الخادم لاصابه فى مقتل ، واستأنف القديس الحديث :

ــ عجيب أمرك يا عمى ! ألم تعلن انك لست بحاجة الى أحد للتخلص من شخصى المتواضع .. ؟

وارتمى سيمون على الارض ليتقى قطعة من الحجر القاها عليه كروج ، وانتهز كليف الفرصة فهوى بسيفه بعنف ، ولكن السيف غرس فى الخشب ، اذ تدحرج القديس بعيدا ، ونهض القديس وقال مازحا :

ــ معذرة يا أطفال . ولعلك تحسن التسديد فى المرة القادمة ، وبينما كان سير شارل يحاول نزع سيفه من الارض الخشبية التى غرس فيها ، احاط به كروج معاودا الاعتداء عليه ، شاهرا حربته . وقال سيمون ساخرا :

وأسرع بتناول مدق من على الحائط ، وأخذ يغطى نفسه من هجمات سير شارل . وقفز كروج الى الامام شاهرا حربته ، فضربه سيمون بالمدق على جبينه فهوى على الارض وهو يصرخ . وصاح سيمون :

ــ هكذا لن يزعجنا أحد ... ولكن ماذا تفعل .

فقد انتهز الخصم الفرصة ودخل الى الغرفة المجاورة فسأله سيمون :

ــ هل تتخلى عن المبارزة ؟ أم أنك ستراجع معاهدة المبارزة .. ؟

وتعقب خصمه ، فقد اطمأنْ على ويندى ، كما أن المبارزة كانت تطربه ، ولن يدعها تنتهى هكذا . وقال للعم :

ــ ابق يا عمى الطيب ... أم انك تريد تغيير السلاح ؟ كما يروق لك !

ودخل الغرفة المجاورة ورأى سير شارل يفتح درج المكتب ويتناول منه مسدسا بيده اليسرى ، بينما ظل سيفه شاهرا بيده اليمنى وقال آمرا :

ــ الق بسيفك يا قديس !

ــ مستحيل !

وجمد سيمون فقد سمع خطوات من خلفه ، وصوت عراك صامت ... وعاد خصمه يقول :

ــ الق بسلاحك ! ... امامك ثلاث ثوان !

وعلا صوت العراك من خلفه ، وانتهى بصراخ رجل . وخفض سيمون ذراعه ببطء كما لو كان سيتخلى عن سيفه ، ولكنه دفعه الى الامام بحركة قوية مفاجئة قائلا :

ــ اتصر على هذا المكان يا عمى !

واصطدم نصل سيفه بنصل الخصم ، وقفز القديس

فى نفس اللحظة وطوق كليف من خصره ، وبذلك اتقى التهديد المضاعف وقال : — هيا نتصارع .

وانحنى كليف الى الخلف وحاول توجيه المسدس ، الذى كان مازال بيده اليسرى الى تمبلار ، ولكن يد الاخير الحديدية أمسكت بذراعه ولوته ، وانتزع المسدس من بين أصابع كليف واشهره فى وجهه قائلا :

— انتهى اللعب يا عمى .. ؟

وسمع فى هذه اللحظة قرع على أحد الابواب ، ودقت الأجراس ، وارتفع صوت ويندى يقول :

— النجدة .. !

والتقط القديس أنفاسه وقال لخصمه :

— هيا لنلحق بالاخرين .

وسار شارل الى المكتبة ومن خلفه سيمون يضغط على كليتيه بالمسدس . وتطلع القديس الى مكان المعركة فرأى المقاعد مقلوبة ، والاثاث فى غير مكانه ، بينما تمدد كروج على الارض بغير حركة . وأمسكت هورتنس بويندى ، وضغطت بذراعها على عنقها فأمرها القديس:

— دعى ويندى .

ورجفت هورتنس ، وارتاعت لابتسامة القديس وأطاعت أمره ، وتضاعف القرع على الباب ، وهرولت ويندى الى القديس وقالت له :

— لقد نهض كروج ثانية وهم بالهجوم عليك فى الغرفة المجاورة وتصارعت مع هورتنس حتى اضطرت الى التخلى عن تقييد حركتى ، فتناولت هذا ...

واشارت الى المدق الموضوع على الارض ، وهى ترتعد ، وأدرك سيمون سر الحركة التى سمعها من خلفه فى المرحلة الاخيرة من مبارزته مع السير شارل . فقد ضربت ويندى الخادم قبل أن تتمكن المربية من

الامساك بها ثانية . . . فيالها من فتاة باسلة ، لم يبـ
لها من آثار الطفولة التى عاشتها طويلا ، أى أثر :
وتوالى قرع الباب فأمر القديس ، المربية بفتـ
الباب .

خاتمة

ما كادت هورتنس تفتح باب الدخول حتى اندفـ
بعنف ، ودخل روبير ديفار ومن خلفه البحار .
وأخذ صاحب الفندق يتأمل مكان المعركة واشخاصها
فقد كان كروج ينهض متثاقلا ، وانزوت هورتنس
بنظرات عدائية ، ووقف سير شارل مختل الثياب
مهزوم الاسارير . بينما أمسك سيمون بمسدس
وبجانبه ويندى تشد على ذراعه . وقال تمبلار بصوت
مبتهج :

ــ تفضل يا روبير بالاتصال تليفونيا بأصدقائك فـ
مركز الشرطة وأطلب منهم الحضور فورا ، فعندى لهـ
هدايا قيمة . وأنت أيها البحار . . . فك الحبل الذى
يقيد النائم فى الغرفة الثانية ، فلن يستطيع الهرب :
وقيد به هذا السيد « مشيرا الى السير شارل » .
وأعلن روبير قدوم الشرطة قائلا انهم كانوا يستمعون
للعمدة وهو يروى قصة زواج غريبة .

ــ ما الذى اتى بك الى هنا . . ؟

ــ ترددت فى ازعاجك . فأنت لا تحب التدخـ
معاركك .

ولكن ماريوس ــ البحار ــ كان قلقا على زورقه !
واستطاع اقناعى فجئنا بالسيارة وشاهدنا الزورق فى
مخبئة .

ــ بحالة جيدة . . ؟

ــ تماما ، ولا يبدو انه دار عراك على ظهره .
ولما لم نجد لك أى أثر ، خشى ماريوس ان تكون قد تعرضت لحادث فى البحر ...

لم يصدق رجال الشرطة ما رأوه فى القصر ، ولكن ويندى تولت الشرح ، فاقتيد سير شارل ومساعديه الى السجن انتظارا للمحاكمة . وأرسلت جثة بوت الى المشرحة . ورفضت ويندى المبيت فى القصر . لا اعتقادا منها بالشياطين ، ولكن نفورا مما حدث بداخله ، وهربا من ذكرياته ، وفضلت أن تقطن فندق روبير .

وفى اليوم التالى كانت ويندى تستمتع بأشعة الشمس مع القديس على الشاطىء وقالت الفتاة :

ــ اننى ادرك الان ان هناك كثيرا من الحقائق التى اخفيت عنى ، وان أمامى الكثير مما ينبغى ان اتعلمه ، وأكتشفه .

ولف سيمون ذراعه حول عنقها ، فأقشعرت قليلا وقالت :

ــ اتريد يا سيمون ان تكون معلمى واستاذى .. ؟

فشد على منكبيها ، إذ كان يدرك واجبه فى الحياة وقال :

ــ كلا يا عزيزتى ... اننى لا أستطيع البقاء طويلا فى نفس المكان ، ولكننى سأتردد عليك كثيرا لاتحقق من تقدمك .

ضحكت الفتاة ودفنت راسها بين صــــدر القديس ت ضربات قلبه ، وتمتم هو برفق .
مازال هناك الكثير من الشياطين الذين ينبغى أن تبل أن استريح .

تمت